"التفسيرات السوسيو- ثقافية لتعاطى وإدمان المخدرات"

أحمـــــد أنـــــور (*)

ملخص

يلعب السياق الثقافى دوراً مهماً فى تشكيل واقع المخدرات، إذ تنتشر المخدرات بجذورها التاريخية فى ثقافات عديدة، فقد ارتبطت زراعة المخدرات وتعاطيها بأدوار تكاملية اقتصادية واجتماعية ودينية وطبية فى الثقافات المختافة، وتدلنا بعض المؤشرات التاريخية على أنه كانت تزرع أنواع المخدرات فى ثقافات عديد من المجتمعات كجزء من طقوس وممارسات سواء فى الشعائر الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الطب الشعبى كممارسات فى الحياة اليومية، وبهذا يصبح استخدامها معتاداً بصورة يومية فى التفاعلات الفردية والجماعية.

ويستخدم المخدر فى عدة أغراض أخرى مثلما يتم فى إطار الممارسات الثقافية، حيث يتم تعاطى المخدرات أثناء حفلات الزفاف أو الوفاة والضيافة والأعياد والمواسم، ويدخل المخدر فى عادات الطعام أيضاً، ويستخدم فى الطب الشعبى لعلاج بعض الأمراض.

وهذه العوامل الثقافية مسئولة عما تتميز به ظاهرة التعاطى من رسوخ يجعلها تستعصى على الاستئصال والانتشار بحيث يفلت من شباكه مجتمع على سطح الأرض.

(*) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع – كلية التربية – جامعة عين شمس

The Socio-Cultural Interpretations of Drug Abuse and Addiction

Ahmed Anwar

Abstract

The cultural contexts plays an essential role in defining the reality of drugs or narcotics such as planting drugs and addiction seem to be playing an interrelated social, religious, medical and historical role in different cultures. Some historical points, for example indicate that lots of cultures planted drugs. We see in different cultures, this came as a part of the rituals and practices either in religious customs or the socio-cultural practices and folkloric medicine as a part of daily routine or practices; thus using them daily in different interactions and collective events.

Drugs are used for other purposes as well as when there are some cultural events; opium is taken in wedding festivals; funerals in entertaining guests' feasts or certain occasions; and may be used in food as well as in folkloric medicine too to treat some ailments.

These cultural factors are responsible - one way or another - for the addiction phenomenon that made it hard to eradicate and it seems that no community on the surface of the earth was able to escape from it yet.

مقدمة:

يبدو أن الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ – وهو في سعي دائم ليحصل على أي طريقة يجعل بها حياته أكثر قبولاً وأكثر لذة، وفي نفس الوقت تلطف وتقلل المتاعب التي تصاحب بالضرورة الوجود الإنساني ولا شك أن دوافع الإنسان للسعي والنشاط في هذا الطريق قد حقق للبشرية كثيراً جداً من الأمور الرائعة التي تريحه وتخدم حياته وأغراضه المختلفة في الميادين الفيزيقية والفنية والتكنولوجية بصفة عامة هذا مع افتراض أن الحضارة والمدنية الإنسانية الحديثة جميعها سليمة وصحية ومفيدة من وجهة نظر الصحة النفسية والاجتماعية.

ولكن بالرغم من فوائد وخدمات هذه الكشوف والتجارب الإنسانية إلا أنها قدمت للمجتمع البشري بعضاً من العقاقير أو المخدرات التي لها القدرة على استعباد الإنسان بصورة ليست معروفة في أي قوة أخرى وهي مخدرات الإدمان.

وقد عرف الإنسان المخدرات منذ عصور موغلة في القدم إلى الدرجة التي يمكن أن يقال فيها أنها عرفت منذ العصر الحجري للإنسان وجميعها مواد نباتية طبيعية واكتشاف المخدرات بالنسبة للمجتمعات البدائية قد تم عن طريق الصدفة أو المحاولة والخطأ ولا شك أن اكتشاف هذه المخدرات قد صاحبة الكثير من الخسائر ولكنه مع ذلك قدم لهذه المجتمعات البدائية وغيرها من المجتمعات الحديثة خدمات ووظائف ذات قيمة في مجال التطبيب الشعبي والطب الحديث.

ونظراً لطبيعة الأديان البدائية التي تقوم على السحر والأرواح لذلك اتجهت الأقوام البدائية إلى تعاطي المخدرات من أجل الأغراض الدينية أساساً، فهم يتعاطون المخدر لخلق حالات من التخدير تتراوح بين السبات التام والنشوة الحقيقة اعتقاداً منهم بأن هذه الحالات تسهل لهم الاتصال بعالم الروح، وليس تعاطي المخدرات قاصراً على الجماعات الدينية وسحرة التطبيب والعلاج، وإنما تشمل الأفراد العاديين وفي بعض المناسبات يكون التخدير جماعياً[1].

فما من مجتمع ترامت إلينا سيرته عبر القرون أو عبر مستويات التغير الحضاري المتعددة إلا وجدنا بين سطور هذه السيرة ما ينبئ بشكل مباشر أو غير مباشر عن التعامل مع مادة أو مواد محدثة لتغيرات بعينها في الحالة النفسية بوجه عام، أو في الحالة العقلية بوجه خاص، لدى المتعامل، تترامى إلينا هذه السيرة عن الصين والهند ومصر وفارس واليونان القديمة. كما ترد إلينا عن العديد من المجتمعات البدائية أو الأقرب إلى البدائية، مثل قبائل التوا Twa في رواند وقبائل الزولوZulu ، والسوازيSwazi، والماكولولو Makalolo، واللوبا LubaK، والنياموزى، وهي قبائل موزعة بين جنوب أفريقيا ومنابع النيل (بالقرب من بحيرة فيكتوريا) وحوض نهر الكونغو وتنزانيا.

ونجد أن المخدرات ذات الأصول النباتية (الكحوليات – الأفيون – القنب – الكوكايين – القات – الطباق – البن والشاي) تمتد جذورها التاريخية إلى عدة قرون

في ماضي بعض المجتمعات البشرية. وهذا التاريخ الطويل يفسر جزءاً من رسوخ ممارسات تعاطي هذه المواد واستعصائها على محاولات الاستئصال التي تقوم بها الدول والمنظمات الحديثة.

كما أن المخدرات ذات الأصول النباتية لها تاريخ مشبع بكثير من المعاني والقيم التي تستثير رواسب من مشاعر التقديس الديني أو شبه الديني نظراً لتشابك هذا التاريخ مع تاريخ الممارسات الدينية والسحرية في ماضي العديد من المجتمعات، ويلقى هذا العنصر أيضاً مزيداً من الضوء على الرسوخ الشديد الذي تتسم به ظاهرة الإقبال على تعاطي هذه المواد (ونعني هنا الظاهرة في شكلها الاجتماعي العام الذي يجعلها تبدو كالإخطبوط متعدد الرؤوس كلما قطعنا منه رأساً حلت محلها رؤوس أخرى متعددة) [2].

أولاً- مدخل البحث:

يلعب السياق الثقافي دوراً مهما في تشكيل واقع المخدرات خاصة أو فرعية، إذ تتوغل المخدرات بجذورها التاريخية في ثقافات عديدة، فقد ارتبطت زراعة المخدرات وتعاطيها بأدوار تكاملية، اقتصادية واجتماعية ودينية وطبية، في الثقافات المختلفة.

وتدلنا بعض المؤشرات التاريخية على أنه كانت تزرع أنواع من المخدرات في ثقافات العديد من المجتمعات كجزء من طقوس وممارسات سواء في الشعائر الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الطب الشعبي، كممارسات في الحياة اليومية، وبهذا يصبح استخدامها معتادا بصورة يومية في التفاعلات الفردية والجماعية. فعلى سبيل المثال كان بعض الأفارقة يتعاطون المخدرات في إطار ممارسات شعائرية دينية تتم في شكل طقوس ثقافية. كما نجد في القمم المرتفعة في جبال الإنديز بأمريكا الجنوبية أن السكان الأصليين في زمن ما قبل الأسبان كانوا يستخدمون أوراق نبات الكولا لتجنب الإصابة بالبرد والشعور بالتعب في الظروف القاسية التي يعملون في ظلها. وفي العقود الحديثة ازداد الطلب على الكوكايين النقي. وأدى هذا إلى خلق نظام متكامل لإنتاج الكولا وتكريرها ونقلها، ويعمل هذا النظام بشكل مشروع، لذا فهو يشكل قوة سياسية واقتصادية في دول أمريكا الواقعة على جبال الأنديز. وأدى التجاور بين أنساق التعاطي التقليدية والحديثة لنفس المخدر إلى خلق حاجة قوية إلى دراسة دقيقة للمخدرات في السياق الثقافي. ومن هنا تصبح زراعة المخدرات وتعاطيها مرتبطة بأدوار تكاملية في الثقافات المختلفة[3].

ولقد ظلت ربوع الهند وغيرها تسودها عادة الاستخدام الرشيد لمنتجات القنب والأفيون لآلاف السنين، ومما يزيد تدعيم ذلك استخدام المخدرات في الممارسات الدينية. فهي تلعب دورا رئيسيا في تكوين منظور الشخص إلى العالم وفهمه للوجود. لذا تستوجب بعض الديانات في الهند إلى استخدام المكيفات مثل القنب كوسيلة للارتباط بينهم، ولا يجرؤ مسئولو مكافحة المخدرات بالهند على

التفكير في إلقاء القبض على المتعاطين في شعائرهم الدينية بتهمة تعاطي المخدرات.

كما يستخدم المخدر في عدة أغراض أخرى مثلما يتم في إطار الممارسات الثقافية حيث يتم تعاطي الأفيون أثناء حفلات الزفاف أو لختم الوثائق في الصفقات التجارية المهمة أو عند عمليات التطهير بعد وفاة أحد الأقارب. ويدخل المخدر في عادات الطعام أيضا، إذ يدخل القنب في إعداد بعض أنواع الطعام مثل الكعك والحلوى والوجبات الخفيفة، كما يتم التعاطي للتكيف مع قسوة الظروف المناخية بالمنطقة ولتقوية الشهوة الجنسية .

ويستخدم الأفيون كممارسات في عادات الضيافة، حيث يقدم بضع قطرات منه في راحة يد الضيف تعبيرا عن الاحترام. كما يوزع على الفلاحين في مواسم الحصاد. كتعبير عن الاحتفال بذلك. ومن الممارسات المتعلقة بالأفيون أنه يتم تعاطيه عادة عند مناقشة بعض القضايا المهمة للفلاحين في مجتمعهم المحلي. حيث يجلسون في المساء في حلقات ويمررون فيما بينهم غليونا ويدخنون فيه الأفيون[4].

وتزرع بعض أنواع المخدرات لأغراض طبية، إذ ظل الطب الشعبي سائدا - وحتى الآن - في كثير من البلدان لعلاج الأمراض، حيث تحتوي المخدرات على مواد كيميائية تستخدم لإحداث تغييرات في الحالة الفيزيقية والعقلية للفرد. وقد تكون هذه التغيرات مطلوبة لغرض طبي علاجي. وبهذا عززت الثقافات المتباينة تعاطي المكيفات لدواع طبية، إذ تعد جزءا من الطب التقليدي لعلاج أمراض الإنسان والحيوان.

وفي الهند مخزون هائل من الأدوية التي تدخل في تكوينها المخدرات، فقد عرف الأفيون مكانته في علاج أمراض النزلة الشعبية والسعال والربو، كما يستخدم في أرجاء عديدة من الهند كمهدئ للأطفال حيث يتم خلطه بالحلوى. ونظرا لفاعليته في الطب الشعبي التقليدي فإن استخدامه لهذا الغرض يخرجه عن نطاق التجريم القانوني [5].

وفي دراسة لكوديرى Codere على تعاطي القنب في رواندا (بأفريقيا) نشهد كيف يتكامل هذا التعاطي مع النسيج الاجتماعي بشكل يتيح له أن يسهم بنصيب واضح في كل ما يحدد خصائص الإطار الحضاري، سواء من حيث وظائفه، واستمراره. ذلك أن تعاطي القنب هناك يقتصر على الرجال من أبناء جماعة عرقية صغيرة ذات مكانة اجتماعية شديدة الانخفاض وتسمى هذه الجماعة (توا) Twa في هذا الإطار يسود التوقع بأن القنب يسبب لمتعاطيه اندفاعات شديدة عند الغضب لا تليق إلا بأبناء هذه الجماعة ذات المكانة الاجتماعية المتدنية، وهكذا بوصف أفراد هذه الجماعة بالسلوكيات المتدنية، ويأتي تعاطي الحشيش ليزيد من تأكيدها. ومن ثم تساعد هذه التوقعات سواء عند المتعاطين أو المحيطين بهم على حصر تعاطي الحشيش في أبناء (التوا) وعدم انتشاره بين الأغلبية المحيطة بهم، وهي ليست من (التوا) [6].

وفي قبائل التونجا وهي تقيم فوق هضبة مرتفعة في فولتا العليا أو ما يعرف الآن باسم (بوركينا فاسو) يتكامل تعاطي القنب كذلك مع النسيج الاجتماعي القائم ولكن بطريقة أخرى مغايرة لما نشهده في رواندا. فقد أوضح جونز D. Jones أن تدخين الحشيش هناك منتشر بين أغلبية الراشدين بصورة معروضة أمام الجميع، مما يتيح للصغار أن يشاهدوا ويعتادوا ظهور آثارة في حياتهم. ومن ثم فعندما يحين الوقت المناسب للسماح بالتدخين إذ هم يعرفون مسبقا ماذا يتوقعون من آثار سلوكية. وتقضي العادات السائدة في تلك القبائل بأن تدخين القنب أمر مقبول اجتماعيا، وخاصة إذا حدث هذا التدخين في ختام يوم من العمل الشاق، وبشرط ألا يستمر هذا التدخين بصورة متصلة ولفترات طويلة. ويتوقع المتعاطون إذا التزموا بقواعد الإيتيكيت هذه أن يجعلهم الحشيش أكثر ثقة بأنفسهم، وأكثر إظهارا للروح الاجتماعية، وربما أقرب إلى كثرة الكلام ومواصلة الحوار أيا كان. أما إذا أسرفوا في التدخين فإنهم يتوقعون أن يصبحوا أقرب إلى الخمود، وربما غلبهم النوم. (7).

وقدم وليم مكجوثلين دراسة حضارية تاريخية تتبع فيها تفصيلا كيف تجمعت عوامل بعينها في مجرى الحياة في المجتمع الأمريكي فيما بين أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات تضافرت معا على انتشار تدخين القنب ويوضح مكجوثلين أن هناك مناخ اجتماعي تاريخي أو مناخ حضاري ساد في المجتمع الأمريكي في فترة أواخر الخمسينات وأوائل الستينات واقترن بانتشار تعاطي القنب بين الشباب. وتمثلت هذه العناصر في الأحداث الجسام التي توالت على المجتمع الأمريكي وأدت إلى تزايد مشاعر الاغتراب بين الشباب، وإلى سقوط القناع عن أوجه القبح في المجتمع الأمريكي. من هذا القبيل التصعيد الشديد الذي جرى من الحملة المكارثية والتي أدت إلى التنكيل بالكثير من المثقفين ورموز حياة الفكر والعلم والفن في المجتمع الأمريكي، وما تبين أخيرا من أن راعيها الأول هو السناتور جون مكارثي كان رجلا سكيرا، وقد توفي في مصحة للأمراض العصبية والعقلية. وكذلك التصعيد الخطير لحرب فيتنام الذي وقع في أوائل الستينات.

ومع بداية النصف الثاني للستينيات بدأت حركة شباب (الهيبي) كنوع من الاحتجاج على ما هو مؤسسي في المجتمع الأمريكي، بدءا من الدولة إلى الأسرة، واتخذت هذه الجماعات من تدخين القنب أحد رموزها، وأحاطته بهالة من الأوصاف المثالية(8) .

وكانت بداية استخدام المخدرات في الغرب طبية، حيث كان الأطباء يصنعون مركبات الأفيون كعلاج، بل أن أحد الأطباء كتب كتاباً يبين فيه للأمهات متى وأين تستخدم المخدرات لعلاج أطفالها. ولم يخطر ببال الأطباء حينئذ المخاطر التي يمكن أن تنتج عن إدمان تلك المواد، مما جعلهم يستخدمونها على نطاق واسع لعلاج العديد من الأمراض والآلام. إذ سرعان ما اتسع نطاق الاستخدام حتى طال مهدئات الأطفال نفسها. ولذا فإن دولاً كثيرة عرفت المخدرات بداية من الأفيون مثل ألمانيا على يد الصيدلي (سبرتيرنير) حيث اشتق المورفين من الأفيون وكذا الكوكايين، كما تم تصنيع الهيروين (ثاني استيل المورفين) كمشتق من مشتقات مماثلة للمورفين، مثل الميثادون والسوسيمون أو النبتازيولسين. وفي أواخر القرن الثامن عشر استخدم الهيروين كدواء مأمون من الناحية الطبية، وانتشر استخدامه بشكل أدى إلى ظهور حالات مبكرة للإدمان.

وفي الحرب الأهلية في أمريكا كان المورفين يستخدم في حالات الإصابة حتى إدمانه آنذاك (مرض الجندي). ولم تكن فرنسا أيضاً بعيدة عن هذا المسار إذ عرفت أوربا

في القرن التاسع عشر (الكوكايين) عندما اكتشف الصيدلي (مارياني) تأثيره التخديري وقام بتصنيع مستحضرات عديدة منها (نبيذ مارياني). وبعد ذلك تم تخليق العديد من المنشطات مثل الرثيلين والديكيدرين والميثورين. وفي سنة 1898م أنتجت شركة باير في ألمانيا مادة مخدرة جديدة على اعتبار أنها أقل خطورة، وكانت هذه المادة هي الهيروين الذي تبين أنها أكثر خطورة في الإدمان مقارنة بالمورفين، الذي جاء بديلاً عنه.

ويستخرج الكوكايين من أوراق نبات الكوكا التي تنمو في أمريكا الجنوبية وكانت هذه الأوراق تمضع لمقاومة التعب والجوع والعطش واعتباراً من عام 1961 أصبح استخدامه في غير الأغراض الدوائية ممنوعاً، ولكن هذا لم يمنع زيادة انتشاره.

ولا شك أن المخدرات قد لقيت أنواعاً من الدعم الاجتماعي لا يمكن إنكار فاعليته، وقد صدر هذا الدعم من كثير من المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، ويدخل تحت هذا البند تصريحات الأطباء وممارسات شركات الأدوية، مما يلقي الكثير من الضوء على جزء كبير من الفشل الذي تلقاه جهود الوقاية والمكافحة.

وكذلك تلعب الأفكار والمعتقدات داخل الأسرة دوراً مهماً في الدفع إلى تعاطي المخدرات والإدمان، فغالباً ما يتردد على ألسنة المخالطين عبارات (المخدرات مش حرام) (مافيش نص ديني يقول كدة) (دي بتفتح المخ في المذاكرة) (دي بتساعد على العملية الجنسية) وكل هذه المعتقدات من جانب المتعاطين أو من أحد أفراد الأسرة تدفع الأفراد إلى الاستمرار في التعاطي.

وهناك ثقافة فرعية خاصة بالمخدرات تتمثل في بعض الأفكار والمعتقدات السائدة والخاصة حول تناول المخدرات وفوائدها، فالتنميط الثقافي له دوره في عملية الإدمان، فالفرد يتعلم لأن يستجيب لثقافته التقليدية وفي طرق تراها الثقافة مناسبة ومقبولة. ففي بعض الثقافات يعد تعاطي مادة ما أو إدمانها من الطرق التي تراها الثقافة مناسبة ومقبولة كالقات في اليمن، وبالتالي يكون الإدمان نوعاً من التقليد التلقائي الذي يأتي دون ضغط أو إلحاح.

أي إن هناك عديد من العوامل الثقافية والاجتماعية مسئولة عما تتميز به ظاهرة التعاطي من رسوخ يجعلها تستعصي على الاستئصال وانتشار لا يكاد يفلت من شباكه مجتمع على ظهر الأرض.

ثانياً- مفاهيم البحث

1- المخدرات:

كلمة مخدر ترجمة لكلمة Narcotic المشتقة من الإغريقية Norkosis التي تعني يخدر أو يجعل مخدراً، والمخدر مادة كيميائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوبة بتسكين الألم[13].

والخدر هو فقدان الإحساس الواعي أو ضعفه وهو (عام) يشمل الجسم كله أو (موضعي) يقتصر على جزء معين من جسم الإنسان. أو (كلي) يفقد فيه الإحساس تماماً أو (جزئي) ينصب على نوع واحد من الحساسية.

والخدر بوجه عام يأتي نتيجة لحالة نفسية أو عضوية، ولفظ الخدر أصل

اشتقاق المخدرات، والخدر هو فقد الحس بتأثير العقاقير على الجسم.

ويصف المعجم الوسيط المخدر بأنه المعطل للإحساس والمبدل للشعور والإدراك والمخدرات لغوياً أتت من لفظ (خدر) يعني (ستر) بحيث يقال تخدرت المرأة أي استترت، وخدر الأسد بمعنى لزم عرينه، وخدرت جسمه وعظامه وأعضاءه، ويقصد بذلك أن المخدرات هي التي يتسبب عنها السكون والكسل وغير ذلك. وجاء في لسان العرب لابن منظور أن التعاطي هو تناول ما لا يحق ولا يجوز تناوله.

وتعتبر كلمة مخدر في اللغة العربية أكثر دقة ودلالة من الكلمة المقابلة لها في اللغة الفرنسية والإنجليزية drug لأن هذه الكلمة الأوربية تعني من الناحية العلمية العقار أو أي مادة يستخدمها الأطباء في علاج الأمراض، أو الباحثون في الأمراض أو في مجال فسيولوجيا الكائن الحي، ولكن كلمة عقار في الوقت نفسه تستخدم بمعنى المخدر ذي الخصائص المعروفة من تنبيه أو انهباط، كما يرتبط استعمالها بالوصمة وعدم القبول حيث هي مواد ضارة بالفرد وغير مقبولة اجتماعياً وهكذا نجد لها معنيين في اللغات الأجنبية. بينما في اللغة العربية يفرق بين الدواء والمستحضرات الدوائية وبين المخدرات فالأولى تستخدم استخداماً يقصد به العلاج والشفاء بينما تستخدم الثانية استخداماً سيئاً لأثارها الضارة بدنياً واجتماعياً ولأنها فعل أو سلوك مرفوض من المجتمع[14].

وهكذا نرى أن اصطلاح متعاطي أو مدمن المخدرات اصطلاح يطلق فحسب على الذين يستخدمون أنواعاً معينة من المواد تعتبر – سواء عن حقيقة أو وهم – مرتبطة بقيم سلبية ضارة. ولذلك فإن المخدرات هي كل مادة طبيعية أو مستحضرة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية الصناعية الموجهة تؤدي إلى حالة من التعود والإدمان يضر بالفرد والجماعة[15].

2- الإدمان: Addiction

يعرف الإدمان بأنه تغير في وظيفة الجهاز العصبي المركزي بحيث لا يمكن أن يؤدي وظيفته بشكل عادي بدون تناول عقاقير معينة اعتاد الفرد تناولها.

ويعرف الإدمان أيضاً بأنه ليس مجرد الاعتياد على تناول المخدرات فحسب بل إنه يمثل سلوكاً اجتماعياً يمارسه الفرد في البداية، إما برغبته وإرادته، وإما نتيجة لضغوط اجتماعية ونفسية تدفعه إلى التعاطي، ومع استمراره في ممارسة هذا السلوك بصفة منتظمة يصبح غير قادر على الاستغناء عن المواد التي يتعاطاها، ومن ثم يفقد رغبته وإرادته وقدرته على العمل والإنتاج. وقد عرفت منظمة الصحة العالمية OMS في كتيب أصدرته عام 1973، الإدمان بأنه حالة نفسية وأحياناً عضوية ينتج عن تفاعل الكائن الحي مع العقار، ومن خصائصها استجابة وأنماط مختلفة، تشمل دائماً الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة متصلة، أو بين الفنية والأخرى، للشعور بالإثارة النفسية، أو لتجنب الآثار المزعجة الناجم عن عدم توفره، وقد يدمن المتعاطي على أكثر من مادة واحدة في الوقت عينه.

ومن أهم خصائص الإدمان هي:

1 - الرغبة الملحة في الاستمرار بتعاطي عقار ما أو مجموعة عقاقير أياً كانت الوسيلة، ومهما كان الثمن.
2 - زيادة الجرعة بصورة تصاعدية نظراً لتعود الجسم على العقار وعدم اكتفائه بالجرعة السابقة، غير أن بعض المدمنين يظلون محافظين على جرعة ثابتة.
3 - حصول الحاجة النفسية، وأحياناً العضوية لتناول العقار. تبعية نفسية وأحياناً جسدية.
4 - ظهور أعراض نفسية وجسدية مميزة لكل عقار في حالة تناوله، كما في حالة الانقطاع عنه فجأة.
5 - انشغال شديد بالتعاطي وعجز أو رفض للانقطاع، أو لتعديل تعاطيه وكثيراً ما تظهر عليه أعراض الانسحاب Withdrawal symptoms
6 - حدوث آثار اجتماعية ضارة سواء بالنسبة للفرد المدمن، أو البيئة التي يعيش فيها، وغالباً في المجتمع ككل. إذا ما انقطع عن التعاطي، وتصبح حياة المدمن تحت سيطرة التعاطي إلى درجة تصل إلى استبعاد أي نشاط آخر[1].

وقد أغفل التعريف العوامل الاجتماعية والأسرية حيث أنه اهتم بالمقومين الجسمي والنفسي ولكنه لم يأخذ في اعتباره العوامل الاجتماعية والأسرية التي لها تأثير في عادات التعاطي.

3- الاعتماد: Dependence

حالة نفسية وأحياناً تكون عضوية كذلك تنتج عن التفاعل بين كائن حي ومادة نفسية وتتسم هذه الحالة بصدور استجابات أو سلوكيات تحتوي دائماً على عنصر الرغبة القاهرة في أن يتعاطى الكائن مادة نفسية معينة على أساس مستمر أو "دوري". (أي من حين لآخر) وذلك لكي يخبر الكائن آثارها النفسية وأحياناً لكي يتحاشى المتاعب المترتبة على افتقادها وقد يصحبها تحمل أو لا يصحبها. كما أن الشخص قد يعتمد على مادة واحدة أو أكثر.

- المواد المحدثة للاعتماد Dependence producing drug

مواد تتوافر فيها القدرة على التفاعل مع الكائن الحي فتحدث حالة اعتماد نفسي أو عضوي أو كليهما معاً، وقد تتناول هذه المادة في سياق طبي أو غير طبي دون أن يترتب على ذلك بالضرورة حدوث الاعتماد، ولكن بمجرد أن تسود حالة اعتماد فسوف تختلف خصائصها باختلاف فئة المادة النفسية المعنية.

- تعاطي تجريبي أو (استكشافي) Experimental use or abuse:

عملية تعاطي المواد النفسية في أول عهد التعاطي بها، وهو بعد في مرحلة تجريبها لاستكشاف أحواله معها، حتى يرتب علي ذلك الاستمرار في تعاطيها أو الانقطاع عن التعاطي.

- تعاطي متقطع (أو بالمناسبة) Occasional use:

عملية تعاطي المواد النفسية كلما حانت مناسبة اجتماعية (كالحفلات).

- تعاطي منتظم Regular use:

عملية التعاطي المتواصل لمادة نفسية بعينها على فترات منتظمة[18].

4- التعود Habituation:

هي حالة تنشأ من تكرار تعاطي عقار (مخدر) وهذه الحالة تتضمن الخصائص الآتية:

- رغبة ولكنها ليست قهرية في الاستمرار في تعاطي المخدر من أجل الإحساس بالراحة والانتعاش التي يبعثها المخدر.
- ميل قليل – وقد لا يوجد – لزيادة الجرعة المتعاطاه من المخدر والعقار.
- وجود اعتماد نفساني إلى حد ما على آثار المخدر ولكن لا وجود للاعتماد الجسماني وبالتالي لا وجود لأعراض الامتناع عن تعاطيه.
- تأثيره – إذا وجد – ضار بالفرد أولاً وقبل كل شيء.

ويتضح لنا أن هناك فرق بين الإدمان والتعود كما وضعتهن لجنة المخدرات التابعة لهيئة الصحة العالمية وهي تفرقة تقوم أساساً على وصف حالة التعاطي بغض النظر عن نوع المادة أو العقار المستخدم[19].

ثالثاً- تصنيف المواد المخدرة:

هناك تصنيفات عديدة للمواد المخدرة، وسوف نذكر بعض هذه التصنيفات:

- التصنيف الأول:

العقار المسبب للإدمان هو عقار ذو قابلية للتفاعل مع الكائن الحي بحيث يؤدي ذلك إلى الاعتماد النفسي أو العضوي أو لكليهما معاً وقد تستعمل مثل هذه العقاقير لأغراض طبية أو غير طبية دون أن تؤدي إلى حدوث هذا التفاعل بالضرورة. وخواص حالة الاعتماد على العقار عند حدوثها تختلف حسب العقار المستعمل. فبعض العقاقير مثل التي يحتوي عليها الشاي والقهوة قد تؤدي إلى الاعتماد بشكل عام ومثل هذه الحالة ليست ضارة بالتبعية في حد ذاتها. ولكن هناك من العقاقير ما يسبب التنبيه الشديد للجهاز العصبي، والهبوط أو اختلال الإدراك والتفكير والوظائف المركبة بحيث تؤدي تحت ظروف معينة من التعاطي إلى المشاكل التي تضر بحالة الفرد والمجتمع. وهذه المجموعة هي التي يعنيها التعريف في المقام الأول، وتصنف هذه العقاقير إلى عدة أنماط وهي:

- النمط الكحولي - النمط القنابى - النمط الكوكاكيني
- النمط الأفيوني - النمط الامفتياميني - النمط القاتي
- النمط الهلوسي - نمط المذيبات المتطايرة[20].

- التصنيف الثاني:

1 - مخدرات طبيعية: وتشمل (الحشيش – الكوكا – الأفيون – القات).

2 - مخدرات مصنعة: وهذا النوع يتم استخلاصه من المخدرات الطبيعية حيث تجري عليها بعض العمليات الكيميائية مثل (المورفين – الهيروين – الكوكايين – الكودايين).

3 - مخدرات مشيده: (منومات – منبهات – عقار الهلوسة) [21].

- التصنيف الثالث:

التصنيف على أساس لون المخدرات

1 - مخدرات بيضاء مثل (الكوكايين – الهيروين).
2 - مخدرات سوداء مثل (الأفيون – الحشيش).

- التصنيف الرابع:

التصنيف على أساس الأضرار.

1- مهبطات وتنقسم إلى:
أ -مسكنات مخدرة مثل (الأفيون – المورفين – هيروين وغيرها).
ب- منومات (المذيبات الطيارة وغيرها).
2- عقاقير الهلوسة وتنقسم إلى:
أ -الموجودة في النبات وهي (الحشيش – الميكالين وغيرها).
ب- المصنعة (ال. اس. دي وغيرها).
3- المنومات والمهدئات (مهدئات عظمى – مهدئات صغرى – مضادات الاكتئاب).
4- المنبهات والمنشطات (الامفيتامينات – الكوكايين وغيرها).

- التصنيف الخامس:

التصنيف على أساس المخدرات الكبرى والمخدرات الصغرى

1. المخدرات الكبرى التي لها خطورة كبيرة على المتعاطي (كوكايين – أفيون – هيروين – حشيش – مورفين).
2. مخدرات صغرى والتي لها خطورة أقل وتمثل جانباً كبيراً من العقاقير المستخدمة كعلاج طبي وإن كانت تسبب التعود والإدمان والأضرار الجسمية والصحية لمتعاطيها مثل (المنبهات – المهدئات – المسكنات – المؤمات – القات – الكوكا – جوزة الطيب – المذيبات الطيارة[22].

رابعاً- المخدرات: مدخل سوسيو – ثقافي:

1- الكحوليات

عرف إنسان العصر الحجري الخمر بتخمير التوت 6400 ق.م. ويقال أيضاً أن نبيذ العنب كان معروفاً من 8000 ق. م، وكانت تستخدم في الطقوس الوثنية كما جاء ذكرها سنة 1750 ق.م، في الحضارة البابلية في مواضع مختلفة أشهرها ملحمة (جلجماش) كما وردت في الحضارة المصرية القديمة وفي الحضارة الإغريقية التي جعلت للخمر إله أسموه (ديونيوس) Dionysos واهب العنب لبني البشر ثم أطلق عليه الرومان باكوس[23].

وظاهرة استعمال الكحول تضرب بجذورها في الأعماق السحيقة من تاريخ البشرية، وقد أضفى عليها الإنسان البدائي هالة من القداسة، وقد استخدمها كدواء ومسكن للألم، وعملية تخمير المواد السكرية كانت معروفة منذ القدم، حيث كانت تستعمل العنب والشعير والنخيل والتين والذرة والأرز، وأطلق عليها أسماء شتى تختلف باختلاف الأزمان وتبدل الأمصار[24].

وتعتبر الكحوليات من أقدم المواد النفسية التي تعاطاها الإنسان، وتعتبر الصين من أسبق المجتمعات إلى معرفتها وتصنيعها منذ عصور ما قبل التاريخ. فقد عرف الصينيون القدامى عدداً من عمليات التخمير الطبيعية لأنواع مختلفة من

الطعام منذ تلك العصور الضاربة في القدم. ومن ثم عرفوا الطريق إلى تصنيع أنواع مختلفة من المشروبات التي كانوا يطلقون عليها جميعاً كلمة (جيو) وهي كلمة ترجمتها (النبيذ) وكان هناك النبيذ الأصفر وهو مصنوع من تخمير الأرز، وكان هناك النبيذ الأبيض وهو نوع مقطر من أنواع معينة من البطاطس والحنطة وبعض الجذور النباتية التي تحتوي على النشا، أما نبيذ العنب فقد استوردوا صناعته مع أول اتصال بينهم وبين الغرب، حدث ذلك حوالي سنة 2000 ق.م أيام أسرة هان التي أرسلت أول بعثة دبلوماسية للاتصال بالإمبراطورية الرومانية، وقد ساعد معرفة نبيذ العنب على ابتكار مزيد من الطرق لصناعة النبيذ من سائر الفواكه كالتفاح والكمثرى والبرتقال.. إلخ. وقد كان للنبيذ وظيفة ترويحية.

وقد ظهرت الأنبذة الدوائية ويشار إليها بعبارة ياو جيو Yao Jui وكانت هذه تستخدم لتنشيط الشهية، وتنشيط الدورة الدموية وإغناء الدم وخفض ضغط الدم وتخفيف الآلام الروماتيزمية. واقترن تناول المشروبات الكحولية في الصين القديمة بعدد من المناسبات الاجتماعية منها مثلاً تقديم الأضحيات للآلهة أو للأسلاف، ومنها اتخاذ قرار قبل الخروج للحرب، ومنها الاحتفال بانتصار ما، ومنها حفلات الزواج والميلاد والموت. فقد كان تناول المشروب الكحولي جزء من مجموعة من الطقوس الاجتماعية المستقرة، كما كان يجري تناول الكحوليات لأغراض ترويحية غير مرتبطة بهذه الطقوس وكان يصحبها أحياناً بعض المغالاة والإفراط[25].

وقد عرف المصريون القدماء الكحوليات، وقد أشار المؤرخ الروماني الشهير أن ملوك المصريين لم يكونوا يشربونها ولا يتقربون بها إلى الآلهة لأنهم كانوا يرون أن هذه المشروبات إنما في حقيقتها دم الكائنات التي وقفت يوماً من الأيام في وجه الآلهة تعارضها وتقاومها، فلما أدركت الموت وتحللت أجسادها تفجرت هذه الكحوليات من هذه الجثث المتعفنة، ومظاهر السكر والعربدة التي تصدر من الشاربين ما هو إلا نتيجة لامتلاء أبدانهم بدماء أعداء الآلهة[26].

وتختلف أنماط الإدمان في البلدان المختلفة. فنجد مثلا أن إدمان الخمر منتشر في فرنسا وإيرلندا واسكتلندا، بينما تنخفض النسبة بين الإيطاليين واليهود وفي السويد ينتشر إدمان الخمر والمنشطات ويحدث الشيء نفسه في اليابان. أما في الولايات المتحدة فترتفع نسبة إدمان الخمر والهيروين والمخدرات في المدن الكبيرة بشكل ملحوظ، وتنتشر نفس المواد في بريطانيا بالإضافة إلى عدد كبير من الذين يتعاطون منومات الباربيتوريك، ولا يتم اكتشافهم لعدم اتصالهم بالجهات المختصة بعلاج الإدمان. ويعتقد أن تعاطي الحشيش يتزايد في البلدان وإن كانت مضاعفات استعماله ليست واضحة حتى الآن.

والسؤال هنا عن سبب التباين في أنماط الإدمان؟ والإجابة على هذا السؤال أن العوامل الحضارية والاجتماعية أو مجمل الإرث الاجتماعي للإنسان الذي يشمل كل معلوماته ومعتقداته ومهاراته التي اكتسبها كعضو ينتمي إلى مجتمع، وكل ما يتعلمه الإنسان.

وقد قام بيتمان Pittman بتقسيم الحضارات المختلفة نحو شرب الخمر على النحو التالي:

1 - حضارات ممتنعة: وهي التي تحرم شرب الخمر كلية وتتصف بمشاعر سلبية قوية نحو المسكرات ومن يتعاطونها. وهذا النوع موجود في بعض الجماعات الدينية التي تشمل المسلمين وبعض الطوائف المسيحية.

2 - الحضارات الازدواجية: وتختص باتجاهات متناقضة نحو الخمر، فالمجتمع يسمح بالتعاطي ويشجع عليه كوسيلة للحصول على اللذة دون ضوابط، ويميل في الوقت نفسه إلى عدم تشجيع التعاطي واستنكار الإسراف فيصبح الفرد في حيرة بين الاتجاهين ويجنح نحو الإدمان.

3 - الحضارات المتساهلة: وهي حضارات تشجع تعاطي الخمر ولكنها تستنكر بشدة السكر والتعاطي بإسراف أو الإدمان.

4 - حضارات مفرطة في التساهل: تتجه هذه الحضارات إلى تشجيع شرب الخمر ولا تستنكر السكر أو انحراف السلوك نتيجة لشرب الخمر .

وقد قام بيلز Bales وآخرون بدراسة تعاطي الخمر بين المهاجرين الإيرلنديين واليهود في الولايات المتحدة. وتوصل إلى ثلاث وسائل يؤثر بواسطتها التركيب الحضاري والاجتماعي على تعاطي المرضى للمسكرات، وهي:

- عوامل دينامية: والمقصود بها الدرجة التي تؤثر بها الحضارة على الفرد بإحداث حاجة ملحة للتوافق مع توتر عصبي داخلي ناتج عن الشعور بالذنب من فعل مخالف للتقاليد أو ناتج من أحاسيس جنسية غير مشبعة.
- عوامل موجهة: وهي الاتجاهات نحو شرب الخمر التي تزرعها الحضارة نحو أفرادها، مثل السماح للأفراد باللجوء للخمر لتخفيف التوتر، أو استنكار هذا السلوك وشعور الفرد بالقلق عند ممارسته له.
- السلوك البديل: والمقصود به الوسائل البديلة عن تعاطي الخمر التي توفرها الحضارة لإرضاء الأفراد[27].

ولو طبقنا ذلك كله على اليهود والأيرلنديين للاحظنا أن الأيرلنديين يسرفون في شرب الخمر لاعتبارات حضارية واجتماعية منها: أنهم يعتبرونها بديلا للطعام ومصدرا للغذاء وأن شرب الخمر لا يتم وفق طقوس معينة، تساهل الكنيسة الكاثوليكية، بالنسبة لهذا الموضوع باعتبار تقديم الخمر وشربها من علامات حسن الضيافة والانسجام الاجتماعي، عدم اختلاط الجنسين وتجريم اتصالهما قبل الزواج، مما يدفع الشباب إلى التجمع لشرب الخمر لتأكيد ذكوريتهم وشغل فراغهم مع الذكور الآخرين، عدم استنكار السكر وتعاطي الخمر كوسيلة لتخفيف التوتر الناتج عن المشاكل.

ونلاحظ هنا الدور الواضح للعوامل الموجهة بين الأيرلنديين. أما تعاطي اليهود للخمر فيتبع طقوسا معينة. فاليهود يشربون الخمر وهم ليسوا محصنين ضد الإصابة بالاضطرابات النفسية إلا أنهم نادرا ما يسرفون في شرب الخمر أو يصابون بالإدمان.

ويعتقد بيلز أن الخمر وخاصة النبيذ بالنسبة لليهود رمز لمجموعة من الأشياء المعقدة والمقدسة، فيشار إليها (لكلمة الرب) و (أمر المولى). فالشراب والطعام طابع قرباني في الديانة اليهودية وتحيطها هالة من القدسية، وفي النواهي التي يفرضها الدين اليهودي على بعض الأطعمة ما يتجاوز المعنى الديني البحت. فهي تهدف إلى تأكيد اختلاف اليهود عن غيرهم بصورة رمزية. فالطفل اليهودي يتعلم منذ الصغر شرب الخمر وتناول الطعام بالصورة المتفقة مع النظرة الدينية.

ويقول بيلز في هذا الصدد إن شرب الخمر مقدس والسكر خطيئة عند اليهود. والعامل الدينامي هنا أن اللجوء للخمر أو السكر للهروب من المشاكل إثم يؤدي إلى الشعور بالذنب والقلق عند اليهودي لذلك يندر بينهم الإدمان على الخمر بعكس الأيرلنديين والسلوك البديل عن تعاطي الخمر بإفراط بين اليهود هو الإفراط في الطعام للتخفيف من القلق والتوتر[28].

وينتشر في بعض المجتمعات جو التسامح تجاه متعاطي المخدرات، فالإسراف في شرب الخمر يعد أمراً عادياً عند اليابانيين ولكن الاتجاهات القومية نحو الخمر يبدو أنها تسمح بنوع من الشرب نادراً ما ينجم عنه مشكلات مهنية أو اجتماعية خطيرة. ومن الملاحظ أن نمط إدمان الخمر في اليابان منظم إلي درجه كبيرة حيث يكون تعاطي المشروبات أثناء وقت الفراغ وليس مصاحباً لمسئوليات الحياة العادية. إن الرجل الياباني يتطلب من نفسه درجة عالية من النظام والمسئولية اللذين يسببان التوتر، وهو يتخفف من هذه التوترات من حين لأخر بالإكثار من تناول الخمر في أوقات وظروف لا تضر بعملة.

وقد لاحظ أوبلر Opler أن جماعات معينة في نيويورك كالصينيين واليهود والإيطاليين توجد لديهم نسبة منخفضة تتصل بمشكلات شرب الخمر، بينما ترتفع نسبة هذه المشكلات التي تتصل بشرب الخمر بين الأيرلنديين. وفي هذه المجموعة تكون اضطرابات الشخصية مرتبطة إلي درجة كبيرة بالإسراف في تعاطي المشروبات الكحولية[29].

ويعتبر تعاطي الخمور من أنماط السلوك الاجتماعي الهامة في المجتمعات الغربية، وقد ثبت أن معظم الأطفال في هذه المجتمعات يجربون تعاطي المخدرات في المرحلة الابتدائية. ولا يستطيع الطفل الأوربي الذي يبلغ عمره 6 سنوات استيعاب الفرق بين المشروبات الكحولية والمشروبات التي لا تحتوي على الخمر. وفي سن 8 سنوات يستطيع الطفل استيعاب الفرق بين الاثنين.

وفي سن 6 سنوات أفاد معظم الأطفال في مدينة جلاسجو في اسكتلندا بأنهم مصممون على شرب الخمر عندما يكبرون. ولكن عند بلوغهم 8 سنوات تشككوا في حكمة مثل هذا السلوك وفي سن 10 سنوات كان الاتجاه السائد بين الأطفال سلبياً نحو تعاطي الخمر ولعل السبب في ذلك نضوج الطفل وإدراكه لمميزات أنماط السلوك المقبولة الاجتماعية أو نتيجة لتعرضهم لخبرات صادمة متعلقة بالخمر.

وفي بداية سن المراهقة يخرج الشباب من الجنسين إلى الحدائق لتعاطي المشروبات غير المقطرة مثل البيرة. وبعد ذلك يترددون على الحانة لتعاطي الخمر بأنواعها المختلفة مع الآخرين.

وقد قام بعض الباحثين بالتنبؤ بنية هؤلاء الأطفال تعاطي الخمر في المستقبل واتضح أن العوامل التالية كان لها تأثير ملحوظ على عزم الطفل على تعاطي الخمر في المستقبل:

- تمكن الطفل من التعرف على الخمر بالشم وبتذوقها فعلاً.
- شعور الطفل بأن أمه تستمع بشرب الخمر.
- رؤية الطفل والده في حالة سُكر تضعف عزمه على شرب الخمر في المستقبل[30].

وينتشر تعاطي الخمور في الثقافات المختلفة، ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي:

المصدر	اسم المشروب المخمر	اسم المشروب المقطر
شعير	بيره، ايل، نبيذ الشعير	ويسكي سكوتش، ويسكي ايدلندي، شونشو (اليابان)
العسل	افريقيا الميد، تبغ (اثيوبيا)	ميد مقطر (براندي الميد وبراندي العسل)
حليب	كوميس، كيفير، بلاند	اركما
سكر	كيلجو (فلندا)	شوتشو: مصنوع من السكر البني (اليابان). [31]
جاودار	بيرة الجاودار، كفاس	ويسكي الجاودار، روغينكورن (نوع من الكورن Korn، من ألمانيا)
الذرة	تشيتشا، بيرة الذرة	ويسكي البوربون، فودكا (فقط القليل مثل تيتوس)
ذرة بيضاء	بوروكوتو (نيجيريا)، بيتو (غانا)، ميريسا (جنوب السودان)، بيليبيلي (تشاد، وسط أفريقيا، الكاميرون)	ماوتاي، غاوليانغ، أنواع أخرى من البايجيو (الصين)
قمح	بيرة القمح	فودكا، ويسكي القمح، فايزينكورن (نوع من الكورن Korn، في ألمانيا)
رز	هوانغجيو، تشاوجيو (الصين)، ساكي (اليابان)، سونتي (الهند)، ماكجيولي (كوريا)، تواك (جزيرة بورنيو)، ثوون (نيبال)	بايجيو الرز (الصين)، شوتشو واوامـوري (اليابان)، سوجو (كوريا)
الدخن	بيرة الدخن (صحراء أفريقيا)، تونغيا (تيبيت)	
قمح البوك		شوتشو (اليابان)

عصائر الفاكهة:

المصدر	اسم المشروب المخمر	اسم المشروب المقطر
عصير العنب	نبيذ	براندي، كونياك (فرنسا)، فيرموث، أرمانياك (فرنسا)، بارنتواين (ألمانيا) بيسكو (تشيلي والبيرو)، راكي (البلقان وتركيا)، سينغاني (بوليفيا)، بالينكا (هنغاريا)، عرق (سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، إيران)
عصير التفاح	سيدار، أبفيلواين	براندي التفاح (Apple jack) كالفاوس، سيدار، لامبيك
عصير الكمثرى	بيري، أو سيدار الكمثرى، بواريه (فرنسا)	براندي الكمثرى، ماء - الحياة Eau-de-Vie (فرنسا)
عصير الخوخ	نبيذ الخوخ	سليفوفيتس، تزويكا، بالينكا، أوميشو
عصير الأناناس	تيباش (المكسيك)	
الموز	أورغواغوا (يوغاندا ورواندا)، مبيج (مع مولت الدخن، تانزانيا) كاسيكيسي (مع مولت الذرة البيضاء، الكونغو)	
غوكي	جيو الغوكي (الصين)	
ميريكيا روبري	جيو يانغمي (الصين)	

الخضروات:

المصدر	اسم المشروب المخمر	اسم المشروب المقطر
عصير الزنجبيل	بيرة الزنجبيل (بوتسوانا)	
البطاطس	برة البطاطس	فودكا: تستخدم البطاطس بكثرة في بولندا وألمانيا
بطاطس حلوة		شوتشو (اليابان)
البنجر		فودكا وردية (روسيا)
كاسافا/ مانيوك/ يوكا	نيهاماتشي (أمريكا الجنوبية)، كاسيري (صحراء أفريقيا)، تشيتشا (أكوادور) (قد تخمر من 3 إلى 10 أيام لتحديد قوة المشروب)	
عصير قصب السكر، والدبس	باسي، بيتسا - بيتسا (إقليمي)	رم (الكاريبي)، بينغا أو كاتشاسا (البرازيل)، أغوار ديبنتي، غوارو، عرق (العراق)
عصير أغاف	بولك	تيكيلا، ميزكال

2- القنب (الحشيش):

كلمة القنب كانابيس Cannabis، وهي كلمة يونانية الأصل وتعني الضوضاء ولعلها إشارة إلى الأصوات المرتفعة التي يصدرها المتعاطون، أما كلمة الحشيش باللغة العربية فتعني العشب، وقد أطلقت على المادة المخدرة الموجودة في نبات القنب. ولعل المسلمون عرفوه نباتاً برياً فسموه الحشيش. وفي رواية أخرى يقال أن كلمة الحشيش مشتقة من كلمة (شيش) العبرية التي تعني الفرح كناية عن شعور المتعاطي بالنشوة.

وتتعدد أسماء الحشيش بتعدد البلدان التي تستخدمه ففي البلاد العربية يعرف باسم الحشيش وفي أمريكا الجنوبية وبالأخص في المكسيك والبرازيل يعرف باسم (ماريوانا) أو (مارجوانا) كما يعرف في البرازيل أيضاً باسم (ماكومبا) و(لبامبا)، وفي آسيا وخاصة في الهند يعرف باسم (غانجا) أو (هانج) أو (شاراس) وفي السودان يعرف باسم (دائما) أو (دقة) أما في الموزمبيق فيعرف باسم (سوردما)[32].

وقد عرفت الصين القديمة زراعة القنب، وكانت في ذلك أقدم منشأ للنبات على سطح الأرض. وقد وردت أول إشارة عن الحشيش في كتاب للصيدله ألفه الإمبراطور الصيني شين نونج Shen–Nung سنة 2737 ق.م، وكانت له في رأيه فوائد طبية متعددة كعلاج للإمساك وداء الملوك والروماتيزم والملاريا.

وقد استغل الصينيون هذا النبات في صنع نوع معين من الأقمشة يصنع منها الفقراء ملابسهم وكذلك الأحبال لصنع شباك الصيد، كما استخدمت ألياف القنب في صناعة الورق، كما استعملت بذور القنب للطعام كما يستخدم الأزر والشعير.

وقد ظهر القنب فوق جبال الهملايا في شمال الهند منذ ما يقرب من 35 قرن وأنتشر مع تحركات البشر الرحل في العالم، واستخدم القنب في الهند لأغراض دينية قبل أن يستخدم لأغراض طبية، وكان الرأي السائد بين الداعين إلى استخداماته الدينية أنه (يخلص عقولنا من المشتتات الدنيوية حتى تقوى على التركيز على الموجود الأعلى) ولا يزال العشب يستخدمه الكهنة ومريديهم كمخدر في معابد الهندوس والسيخ. وفي تيبال يوزع في معابد أتباع الإله شيثا في أيام الأعياد المقدسة في أثناء الطقوس الدينية وتقديم القرابين لاسترضاء الآلهه.

وقد وصفه هيوميروس في الأوديسا باسم (نينثى) وكذلك ذكره المؤرخ الروماني (بليثى) وذكره الطبيب الروماني جالينوس وكان يستعمله مع البهارات والمشروبات كمنشط منعش.

ويقول الشاعر الفرنسي بودلير أن الحشيش ها هو أمام عينيك قطعة صغيرة خضراء لا تزيد في حجمها عن حبة البندق ليست لها أي رائحه على الإطلاق، ها هي إذن سعادتك أن أحد لا يعرف ولا يمكنه أن يفهم كل ما تفكر فيه وكل ما تشعر أو تحس به إنك ملك مجهول يعيش وحيداً في معتقدات ولكن من يهتم؟ لقد أصبحت إلهاً[34].

أما عن دخول الحشيش إلى مصر فتشير بعض المراجع التاريخية إلى أنه عرف فيها منذ حوالي القرن العشرين قبل الميلاد واستخدم حينئذ في علاج بعض أمراض العيون ولكن من المؤكد أنه دخل إلى مصر خلال القرن الثاني عشر في أوائل حكم الأيوبيين وفي هذا القرن نفسه يكتب عالم النبات العربي ابن البيطار عن القنب فيقول أنه يزرع في مصر

ويعرف فيها بالحشيش وهو يؤكل وأكله يشعر بالخفة والسرور، وقال: (إن الصوفية والطائفة الإسماعيلية يتعاطونه في ممارستهم الدينية)، وظل الحشيش بعدها بين المنع والإباحة في حالة المد والجذر فمنعه الظاهر بيبرس بالقوة حين لاحظ تأثيره السيئ على معنويات جنوده أثناء حرب المغول، واباحة الإمام القرافي ويقول إنه لا حرج في تعاطي القنب بمقادير صغيرة بحيث لا تؤثر في العقل أو تفسد الخلق ولقد اتهمت مصر لذلك من الغرب بأنها قد أخذت من الحملة الفرنسية المطبعة وأعارتها الحشيش الذي عادت به إلى بلاد النور باريس وانتشر حتى أصبح له ناد هناك يسمى نادي الحشاشين والذي كان من أبرز أعضائه الشاعر بودلير والأديب حوتيه[35].

وكان للحشيش استخدامات طبية في كثير من الحضارات القديمة، أما استخدامه كمخدر، فلم يعرفه المصريون إلا في القرن السابع عشر الهجري نتيجة احتكاكهم بالشعوب الأخرى التي جربت الحشيش كمخدر مبعث على السعادة والسرور، حيث أفرد المقريزي في كتابه (في المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار)، باب تحت عنوان (بابا في ذكر حشيشه الفقراء) وركز فيه على قضيتن، الأولى: هي أن الحشيش مرتبط بالفقر فهو متعة الفقير، والثانية: هي أن الحشيش لم يجرمه قانون ولا شرع، فالبعد الديني فيما يتعلق بالمخدرات يمثل جزءاً من ثقافة المخدرات، والمقريزي ظل يحكي كيف أن أمام مسجد السلطان أبو العلا، وكان متجهم الوجه فر إلى الصحراء وعاد مبتسماً، فلما سئل عن سبب انشراحه، أشار إلى نبات ينمو في الصحراء قام بتناوله، فذهب العامة وتناولوا هذا النبات[36].

وفي عصر المماليك دفع اختلال الحياة الاجتماعية الناس إلى البحث عن مخدر يخفف عنهم آلامهم، ويبعث السعادة في نفوسهم التي خيم عليها اليأس والقنوط، فأقبل الفقراء والمضطهدون على تعاطي الحشيش، ولقد وصل التدهور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلى قمته في عصر السيادة العثمانية (1517 – 1805م) مما أدى إلى استمرار المصريين في تعاطي الحشيش، رغبة منهم في تجاوز مرارة الواقع وطرد الهموم وجلب السعادة، كما كان يستعمل الحشيش في تسكين الألم، والقضاء عليه. ولقد فوجئ أعضاء اللجنة العلمية التي كانت مصاحبه للحملة الفرنسية (1798 – 1801م) بالشهرة المحلية التي حققها القنب في علاج بعض الأمراض فأجروا دراسات عنه ويقال أن تاريخ تقديم القنب وإدخاله في الدواء المصري يرجع إلى هذا التاريخ.

وجاء محمد على (1805 – 1848م) ليتوسع في زراعة القنب، وأقام المصانع لصناعة حبال السفن وقلوعها من أليافه، ولكن عندما علم أن تعاطي الحشيش يصيب العاملين الذين يتعاطونه بالوهن والكسل، أصدر أوامره بعدم زراعته أو استيراده، وصدر الأمر العالي عام 1879 الذي حرم استيراد الحشيش، وأوجب على السلطات الجمركية مصادرة ما يستورد منه، كما منع زراعته، وقرر لهذه الجريمة الغرامة التي لا تزيد على جنيهين[37].

وأطلقت كلمة (الحشاشين) على طائفة من الإسماعيلية عاشت مع زعيمها حسن بن صباح في (قلعة الموت) بين أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني

عشر في الجبال الكائنة في شمال إيران. ويقال أنه كان يحث مريديه على تعاطي مزيج من الحشيش والداتورا والأفيون ثم يتركهم بصحبة الفتيات في بستان جميل ثم يوحي لهم وهم تحت تأثير المخدرات أنهم يرون الجنة ومتعها التي سيدخلونها إذا نفذوا أوامره، ثم يأمرهم باغتيال خصومه.

وكتب ابن البيطار (1197 – 1248) عالم النبات العربي عن القنب الهندي عن أنه كان يزرع في مصر وأنه يعرف بالحشيش، وقال أنه يؤكل، وأن أكله يُشعر بالخفة والسرور، ولكنه ينتهي إلى العته وربما الموت. وقال أن الصوفية والإسماعيلية يتعاطونه في ممارساتهم الدينية.

وقد ذكر المقريزي في القرن الرابع عشر الميلادي شيوع تعاطي الحشيش بين الفقراء بصفة خاصة. ويقول المقريزي أن الأمير سودون الشيوخي سعى قرابة عام 1378 إلى تحريم استعمال الحشيش بين الطبقات الدنيا في مصر بالعقاب الصارم، غير أن عادة أكل الحشيش انتقلت إلى الطبقات الموسرة في القاهرة.

كما يسجل التاريخ لقائد الحملة الفرنسية في مصر إصدار أول أمر مكتوب في 8 أكتوبر سنة 1800م، يحرم تعاطي الحشيش في مصر قد اشتمل هذا الأمر كذلك على قرار بغلق جميع المحال التي تقدمه وإرسال جميع الكميات التي ترد من الحشيش إلى الجمارك وحرقها علانية، بيد أن هذا الأمر سقط برحيل الحملة الفرنسية على مصر في سبتمبر 1801 تاركاً دلالته على شيوع ظاهرة تعاطي الحشيش في مصر في تلك الآونة[38].

ويوضح وليم ادواردلين أن المصريين أطلقوا على أوراق القنب وحقاقه (حشيشاً)، وأن عادة مضغ التبغ قد انتقلت من الهند وبلاد فارس إلى مصر قبل منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد ولع بها المصريون وعلى الأخص أفراد الطبقة الدنيا ثم اتسع النطاق ليشمل الأغنياء ورجال الأدب والدين. وتحولت إلى عادة اجتماعية واستسلم المصريون لإغرائها وأيدوا جوازها للمسلمين.

وعندما تحول تعاطي الحشيش في مصر إلى عادة اجتماعية خصص للتعاطي أماكن معينة ونسجت ممارسات وطقوس جعلت من التعاطي شيئاً مستحباً بالإضافة إلى اعتقاد المصريين في فاعلية المخدر في بعض الوظائف الفيزيقية والعقلية.

وقد انتشرت هذه العادة بين جميع الطبقات في العاصمة وفي غيرها من مدن مصر. ولإعداد الحشيش وسائل مختلفة يطلق على كل منها اسم مختلف نحو (مثيرة) و (بست)... الخ. ويقال أن الشائع هو استعمال أوراق القنب الغضة وحدها، أو مخلوط بالتبغ، للتدخين، وسحق الحقاق، دون البذور، ومزجها بمواد عطرية، لصنع معجون مخدر.

ويثير الحشيش المعد للتدخين طرباً شديداً. وهو يدخن في الجوزه، فيسحب المدخن أنفاساً سريعة، ثم نفساً طويلاً يخرجه من الفم أو الأنف ويتبعه بنوبه سعال، و

بصاق دام ينشأ من امتلاء الرئتين بالدخان. ويباع الحشيش في بعض المقاهي، وفي محال أصغر حجماً وأكثر عزلة خصصها أصحابها لتبيع الحشيش وغيرة من المخدرات، ويطلق علي الواحد منها (محششة). والمسلي أحيانا أن يشاهد المرء مهازل ممن يترددون علي هذه الأماكن، وكلهم من الطبقة الدنيا، ويستمع إلي أحاديثهم. ويستعمل كلمه (حشاش) ومعناها مدخن الحشيش أو أكله للإزدراء، وكثيراً ما يسمي المشاغبون (حشاشين) [39].

وتختلف ردود فعل المتعاطين حسب سلوك الجماعة ومن المألوف أن يشعر المتعاطي بالنشوة المصحوبة عادة بالقهقهة والضحك الذي لا يبدو أن له ما يبرزه وتزداد حده إدراك المرئيات والحواس بصورة عامه. وتختل أجسام وأشكال المرئيات وكذلك المسافات ويمر الزمن ببطء شديد بالنسبة للمتعاطي، ثم يشعر بأن الزمن قد توقف وتختل الذاكرة بالنسبة للأحداث القريبة وكذلك الانتباه والتركيز، يبدأ المتعاطي بجملة معينة ثم ينسي البداية قبل أن يتم الجملة. وينزلق المتعاطي في الخيال والتخيل مع ازدياد الجرعة فيخطئ في تفسير ما يدركه بالحواس ثم تعتريه الهلوسات البصرية والسمعية.

ويوضح مصطفي زيور أن (جلسة الحشيش) تتميز بالنكات ويسودها جو من التعاطف والمودة تذوب فيها الفروق بين المشتركين وهي السمة التي يفسرها زيور بأنها ترجع إلي أن المتعاطين يحلقون جميعاً في فردوس السعادة ويكاد يذوب الواحد في الأخرين[40].

ويوضح حسن الساعاتي أن تعاطي المخدرات يجمع أفراد الجماعة وينشأ عن تعاملهم مع بعض أثناء التعاطي جو ملئ بالفرح والبهجة والنشوه التي تجعلهم يضحكون لأتفه الأمور ويتبادلون النكته والتحية المتكررة، إلي جانب أيضا أن جلسة التعاطي تجمع أفراد من مهن وطبقات ومستويات تعليمية مختلفة، فتشيع بينهم المساواه والإخاء إلي درجة بالغة، هذا فضلاً عما يتيحة للأفراد من التحرر من الضوابط الإجتماعية التي تفرض عليهم الواناً معينة من السلوك[41].

وذكر أحمد أمين في قاموس (العادات والتقاليد والتعابير المصرية) أن الحشيش يستعمل في مصر بطرق شتي منها العجن أو تعمل منه أقراص وكان يزرع في القاهرة في أرض الطبالة وباب اللوق وحكر بولاق وعندما منعت الحكومة زراعته زرع في سفوح الجبال والأكثر يتم جلبة من لبنان وما حولها، حيث التحايل على تهريبه، وكان أكثر من يتعاطون الحشيش الفقراء، ثم أنتشر بين الأغنياء وعندما اعتادوه أقاموا له صالونات فخمة. وللحشيش أماكن خاصة تسمي (غرزة) يكون فيها الحشيش والجوزه والنار وكل ما يتصل بذلك، كما توجد غرز للارستقراطيين فرشت جيداً.

ويوضع الحشيش في (التعميره) أو (الجوزه) ويتبادلها الأفراد، وحتى تنتهي، أو أنه يوضع في السجائر ويعرف هذا باسم (حسن كيف). وأشتهر الحشيش بين متعاطيه بتجلية الذهن وتظريف الحديث، حيث النكتة البارعة والنوادر اللطيفة، والخيال البارع ونسبت إليه كثير من القصص اللطيفة وقدرته علي حل المشكلات العويصة[42].

3ـــالأفيون ومشتقاته:

جاءت كلمة أفيون من الكلمة اليونانية Opuin التي تعني عصارة الخشخاش، وأول ما وصلنا إليه عن الأفيون ما جاء في لوحة سومرية سنة 2000 ق.م. وأطلقوا عليه نبات السعادة The Plant of Joy، وفي سنة 3300 ق.م جاء في لوحة أخرى وصف حصاد الأفيون.

وقد استعمل قدماء المصريون الأفيون كما جاء في بردية ايبرس Ebers منذ 1500 سنة ق.م، حيث أشاروا إلى دواء يمنع الأطفال من البكاء ويعالج المغص عند الأطفال. كما أن حكام مصر القديمة من الفراعنة قاموا باستخدام مستحضرات الأفيون لأغراض طبية أخرى.

وقد أشارت البردية إلى لائحة تضم أكثر من سبعمائة نبته منها الأفيون.

كما ذكر الأفيون 22 مرة في أوراق البردي، وكان يعرف نبات الخشخاش باسم نبات شبين Shepen. وقد استخدم المصريون مصطلح Opium العلمي في العصر الروماني والعصر القبطي[43].

كذلك ورد ذكره في ملاحم هوميروس Homerus باعتباره الدواء الذي يهدئ الألم ويزيل الضيق والكرب ويمحو من الذاكرة كل أثر للأحزان. وقد وصف هوميروس الأفيون وصفاً دقيقاً في الأوديسا حيث تحدث عن قيمة الأفيون الذي تسلمته هيلينا الطروادية من زوجه ملك مصر (كل من يشرب ذلك الأفيون. لن تنسكب الدموع على خديه حتى لو كان يرى بعينه موت أبيه وأمه أو رجالاً يذبحون أخيه أو فلذة كبده) [44].

وعند الإغريق والرومان وجدت تماثيل ما كانوا يسمونه (إله النوم) والتي أطلق عليها الإغريق هيبنوس Hypnas وأطلق عليها الرومان سومنوس Somnus وجدت مزينه بثمار الخشاش.

وكان جالينوس من أطباء الإغريق الذين استعملوا الأفيون بكثرة في علاج الصداع والحمى والمغص والدوخة والجذام وأمراض أخرى كثيرة. وأشار جاليوس إلى أن الأفيون كان يخلط بالسكر ويباع للعامة في الشوارع من أجل الترفيه.

ويروي المؤرخون أن الإمبراطور الروماني ماركوس أومليوس كان مدمناً على الأفيون وعانى من أعراض الامتناع أحياناً.

وتحكى الأسطورة الصينية أن شجرة الخشخاش نبتت من الأرض حينما وقعت جفون بوذا وذلك لتساعده ثمارها على النوم[45].

وقد استعمل الأطباء العرب الأفيون. وقد وصفه البيروني في كتابه سنة 1000 بعد الميلاد كما وصف أعراض الإدمان عليه. وبرع ابن سينا في استخدامه في العلاج الطبي (علاج المغص والتهاب الرئة) ثم استخدمه الطبيب الأوربي باراسلوس سنة 1701.

ولم تتضح خواص الأفيون الإدمانية إلا في النصف الثاني من القرن السادس عشر حين وصفها الطبيب الألماني رانولف Ronolf سنة 1570 أثناء زيارته للشرق

الأوسط. وفي القرن الثامن عشر قال الطبيب الإنجليزي توماس سيدنهام (إن علاج الأمراض مستحيل بدون وجود الأفيون) وكان يستخدمه على شكل سائل مركب سماه (لاودانوم).

كذلك ذكر داود الأنطاكي في تذكرته المعروفة باسم تذكره (أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب) تحت اسم خشخاش بأنه نبات معروف في مصر (بأبي النوم) وقال أنه ينمو برياً، وقد يزرع أيضاً ومنه يستخرج الأفيون. وقال في وصف أثاره إذا دق بجملته رطباً وقرص كان مرقداً جالباً للنوم، مخففاً للرطوبة محللاً للأورام قاطعاً للسعال وأوجاع الصدر الحادة، وحرقة البول، والإسهال المزمن، أما بذوره فنافع لخشونة الصدر والقصبة وضعف الكبد، ويصب طبخه على الرأس فيشفي صداعه وأنواع الجنون كالمالينخوليا.

ويشير وليم إدوارد لين أن تعاطي الأفيون وغيره من العقاقير المخدرة ليس شائعاً في مصر بقدر شيوعة في كثير من البلدان الشرقية الأخرى. ولا شك أن نسبة المصريين الذين تورطوا في هذه الرذيلة إلي مجموع السكان ليست كبيرة بقدر نسبة الأنجليز المولعين بالسكر، ويسمي أكل الأفيون (أفيونياً) ويعتبر هذا اللفظ أقل مهانه من كلمة (حشاش) إذ أن هناك كثيراً من أفراد الطبقتين الوسطي والعليا تصدق عليهم هذه التسمية.

ويتعاطي من لم يدمن الأفيون هذا المخدر خاماً، بقدر ثلاثة حبات أو أربع. غير أن الأفيوني يزيد المقدار تدريجياً. ويصنع المصريون معجون من الخربق والقنب والأفيون وعقاقير عطرية أخري، يتناولها أكثر من الأفيون وحده عادة. ويسمي صانع المعجون أو بائعة (معجونياً). ويقال أن من الأنواع ما يميل بمتناوله إلي الغناء أو المزاح أو الرقص، أو يثير فيه أحلاماً لذيذة أو قد يسكن فقط. وتباع تلك الأنواع جميعاً في (المحششة)[47].

ويندرج الأفيون ضمن مجموعة المخدرات المسكنة المهدئة المهبطة ومجلبة للنوم وهذا يفسر لنا سر انتشارها في بلدان الشرق العربي أكثر من تعاطي الخمور، والعكس صحيح في البلدان الأوروبية وألأمريكية. ففي الحضارات الشرقية تعطي للحياه الدنيا الأنسانية قيماً وأعتباراً أقل مما تعطيه الحضارات الغربية. وفي الحضارات الشرقية التي تؤمن بالقضاء والقدر والغيب والحياة الأخري التي تفوق الحياة الدنيا متعة وثراء والتي تري في الهدوء والقناعة وراحة البال مثلاً أعلي ولذلك فإن تعاطي الأفيون والحشيش أكثر جاذبيه من الخمور.

بينما في المجتمعات الغربية لا تعترف بالأفيون أو بالحشيش أو بتعاطية كسلوك مقبول لأنه يجعل متعاطيه إنساناً ليناً سهل الانقياد ومتراخياً نعساناً، كما تسود أوصاف البلاده وعدم الحيلة وسوء التدبير والتفاهة وعدم تحمل المسئولية. فالحضارة الغربية تري المثل الأعلي الشخصية القوية الفعالة والعدوانية والطموحة التي تسطيع الحصول علي كل شيء.

ولازال تعاطي الأفيون حتى الآن وعند كثير من الشعوب يستخدم في الطب الشعبي كعلاج لكثير من الأمراض كما هو الحال في الهند وشعوب شرق أسيا وجنوبها

وبالنسبة لمصر وخاصة في ريف الصعيد لازال أيضاً يوصف شعبياً كعلاج لبعض حالات المرض كما يوصف مسكناً لبعض الآلام وحالات الإسهال والدوسنتاريا والرشح والأم المفاصل وآلام الروماتيزم وألام الأسنان والبرد والرعشة والمغص. وهذا فضلا عن التعاطي لأغراض الكيف وتحقيق الشعور بالنشوة والراحة وتحمل العمل والنشاط الناتج عن حالة الاعتماد الفسيولوجي علي المخدر(48).

- المورفين Morphine:

من مشتقات الأفيون وهو مشتق من اللغة اليونانية القديمة Morpheus (مورفيوس) أي إله النوم والأحلام عند الإغريق وقد تمكن الصيدلاني الألماني الشاب فريدرش سيرتورنر Serturner في سنة 1803 من عزل العنصر الفعال في الأفيون وهو المورفين، وهو العنصر المسؤول عن معظم الآثار الفيزيولوجية والسيكولوجية المترتبة معملياً(49).

وقد توصل ترنر عام 1805 إلى بلورته بعد معاملة الأفيون الخام بالتسخين والتبريد وإضافة حمض النوشادر، وأطلق العلماء على هذه البلورات المبادئ المنومة Hypnatic Prin Ciples. وقد اخترع الإنجليزي الكسندر وود A.Wood إبره الحقن تحت الجلد عن طريقها أمكن إعطاء المورفين تحت الجلد مما يسبب الإدمان، واستمر الحقن بالمورفين لآلام الأسنان والروماتيزم وغيرها. وبهذه الكيفية انتشر إدمان المورفين في العالم(50).

وقد انتشر استخدام المورفين في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لاستخدامه الواسع ولمدة طويلة لعلاج الجرحى من جنود الحرب الأهلية حيث كان المبدأ الطبي السائد هو منع الألم، ولكن سرعان ما اكتشف الأطباء أن الجنود أصبحوا مدمنين على تعاطيه حتى أن إدمان المورفين أطلق عليه (مرض الجنود) وبدأت الحكومة الأمريكية في اتهام الأطباء بأحداث الإدمان. وفي عام 1914 صدر قانون هارسون الذي حرم بيع المورفين خارج الصيدليات وبدون روشتات طبية(51).

- الهيروين Herouine:

الهيروين مسمى لاتيني يعني البطولة وهو من مشتقات الأفيون، وكان من المعروف منذ الأزمنة القديمة استخلاص المورفين من الأفيون، وكان يستعمل منذ أربعة آلاف عام قبل الميلاد بفضل آثاره السيكولوجية، وأيضاً لأنه مركب فعال في تخفيف الألم، وكان يستخدم في الحضارة اليونانية والرومانية كشراب منوم، واستمر هذا الاستعمال في أوربا خلال الجزء الأول من القرن العشرين. وكان الأطباء العرب في الأزمنة القديمة متمكنين جداً من استخدام الأفيون وادخلوا ذلك المخدر إلى الغرب حيث استخدم على نطاق واسع في علاج الإسهال.

وفي القرن السادس عشر أطلق بارسلس الطبيب الفرنسي 1499 – 1541 اسم لدانم Loudanum (بمعنى الدواء المرغوب فيه) على مستحضرات الأفيون. وفي حوالي عام 1860 أدخله توماس سيدنهام إلى بريطانيا. وفي الشرق خلقت المستعمرات البريطانية والفرنسية المشاكل عندما حاول الإمبراطور الصيني تاوكونيم في عام 1840

فرض قيود على تدخين الأفيون الذي ازداد انتشاره في ذلك الحين إلى معدلات رهيبة. وشهدت حرب الأفيون التي تلت ذلك (1839 – 1942) التي انتصرت فيها بريطانيا زيادة ملحوظة في تجارة الأفيون بين الهند والصين، مما عمل على زيادة استيراد كمية غير محدودة منه إلى الصين وكان التصور الرسمي باعتبارها مصدراً هاماً للدخل.

وأنتج الهيروين لأول مرة في المملكة المتحدة بعد عام تقريباً من اشتقاق المورفين الذي كان يعتقد أنه أكثر عناصر الأفيون نشاطاً[52].

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أدى اختراع الحقن بالمحقنة تحت الجلد في عام 1853 أي قبل الحرب الأهلية الأمريكية بوقت قصير إلى إعطاء المورفين على نطاق واسع للمصابين في المعارك. وكان تعاطي المورفين منتشراً إلى حد أن إدمان تعاطيه صار شائعاً لدرجة أن أطلق عليه اسم (مرض الجندي). ومع زيادة خطورة الموقف بإدخال الهيروين كدواء تقرر في عام 1890 فرض الضرائب على الهيروين وتبع ذلك في عام 1909 منعه منعاً باتاً.

وصار الهيروين في بريطانيا المخدر الرئيسي، ولكن منع إنتاجه واستيراده واستعماله منعاً باتاً في عام 1925. وفي عام 1968 اعتبر استخدام المخدرات لغير الأهداف الطبية سلوكاً إجرامياً. ووضعت سياسة تتعلق بالأحكام الإلزامية العنيفة بصدد هؤلاء المتهمين بحيازته وتناوله فقضى بأحكام تتراوح ما بين سنين وأربع سنوات للسابقة الأولى، وخمس سنوات للثانية، وعشر سنوات السابقة الثالثة، أما بيع المخدر لشخص لم يبلغ سن الرشد فحددت عقوبة بالسجن المؤبد أو الإعدام[53].

4- التبغ أو النيكوتين:

أول من شاهد نبات التبغ الرحالة كريستوفر كولمبس مكتشف أمريكا الذي أهداه أهالي سان سلفادور أورقاً من النبات في سنة 1492. ووصف كولمبس وقسيس أسباني كان معه في الرحلة كيف كان الهنود الحمر يلفون أوراق التبغ ثم يشعلون النار فيها ويستنشقون أبخرته، وكانوا يحرقونه أيضاً في المناسبات الدينية لطرد الأرواح الشريرة وعند دفن الموتى.

وأول من استعمل التبغ من الأوربيين ملاح من ملاحي كولومبس واسمه رودر يجودي خبريت، أسباني الأصل، أحضر التبغ معه إلى البرتغال، ودخنه هناك، فظن الناس أن الشيطان تقمصه لما شاهدوا الدخان يتدفق من أنفه وفمه. وسجن رودر بجودي ورفاقه من المدخنين.

وكان التبغ يستخدم في البداية لعلاج الزكام والصداع والقرح ثم استخدم من أجل الترويح بواسطة البحارة الأسبان الذين نشروا زراعته واستعماله أينما ذهبوا، وانتشرت عادة التدخين في باقي بلدان أوربا.

وبالرغم من تحذيرات الملك جيمس الأول ملك انجلترا الذي كان أول من نبه الناس إلى أضرار التدخين على الرئتين سنة 1604، وفي سنة 1642 أصدر البابا أوربيان السابع أمراً بابوياً يقضي بتحريم التدخين إلا أن العوام والقساوسة استمروا في

التدخين، ولم تجد العقوبات القاسية التي فرضها الحكام على رعاياهم من المدخنين في منع انتشار العادة، فقد تراوحت هذه العقوبات بين السجن والشنق وبتر الرأس والتعذيب والجلد على مرأى من العامة وإقحام خرطوم من فتحة الأنف(54).

وفي القرن السادس عشر قررت القيادات الدينية في تركيا أن تعلن رأيها في تدخين التبغ وتعده ضاراً ومحرماً بناءً على إرشادات القرآن الكريم. وقد أعلن السلطان أن بيوت التدخين هي أماكن للفسق، وتم إعدام الكثيرون في تركيا سنة 1648.

وانتشر التبغ في إيطاليا بين الأشراف ورجال الدين، ثم انتشر بعدها بين السكان نتيجة لتأثير الطبقة الارستقراطية. وقد أصبح التدخين موضة (جميلة) حيث يشعر الشخص الناجح بأنه مرغم على تدخين الغليون علامة على الرقي الاجتماعي، وبأن أولئك الذين لا يدخنون هم أقل حظاً وهيبه اجتماعية، فقد ارتبط استخدام التبغ بذوي السلطة والمكانة والمال وكان التبغ عندهم ثميناً وعندما تدنى سعره انتشر استخدامه بين العامة(55).

واعتبر تدخين السجائر من علامات الأناقة والرجولة والخشونة والنجاح وكانت الإعلانات تبرز مشاهير الفنانين وشخصيات أخرى تؤكد ذلك وفي الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات رأت النساء في التدخين رمزاً على تحررها وعلى تمتعها بالمساواة مع الرجل، وأنتجت شركات التدخين سجائر رفيعة منمقه بألوان أنثوية حديثة راقية المظهر حتى يتمشى مع تلك المرأة الحديثة(56).

ويرجع انتشار التبغ عند المسلمين إلى تحريم الخمر بأنواعها في التشريع الإسلامي، مما جعل المسلمين يلجئون إلي وسائل أخري تسبب لهم نشوه حقيقية أو ضروباً مختلفة من الطرب الشديد. (أو لذة لطيفة) وأكثر هذه الوسائل انتشارا، في أغلب البلدان الإسلامية، ما يسميه العرب (كيفاً) وهو تدخين التبغ، ويبدو أن هذا التبغ أدخل إلي تركيا وجزيرة العرب وغيرهما من بلاد الشرق قبيل القرن السابع عشر من الميلاد، أي بعد سنوات قليلة من انتظام تصديره كسلعة تجارية من أمريكا إلي أوروبا الغربية. وكثيراً ما اشتد الجدل حول إباحية التدخين للمسلم.

ويرى الجبرتي أن محمد علي باشا أصدر فرمان بتحريم شرب الدخان في الشوارع وعلي الدكاكين وأبواب البيوت، ونزل الأغا والموالي فنادوا بذلك وشددوا في الإنكار والتنكيل بمن يفعل ذلك من عال أو دون، وصار الأغا يشق البلد كل يوم ثلاث مرات، وكل من رأي في يده آله الدخان عاقبة، وربما أطعمة الحجر الذي يوضع فيه الدخان.

وقد غير التبغ من طباع المدمنين عليه من الترك والعرب، وجعلهم علي الأخص أكثر كسلاً مما كانوا عليه قبلاً، فهم يضيعون في تدخين شبكهم وقتاً طويلاً، إلا أنه كان ذا أثر أخر حسن، فقد أغنى إلي حد كبير عن استعمال النبيذ الذي يضر علي الأقل بصحة سكان الأقاليم الحارة. وتقدم قصص ألف ليلة وليلة والتي كتبت قبل استعمال التبغ في الشرق والتي تصور لنا بلاريب عادات العرب وشمائلهم في ذلك

الوقت تصويراً صادقاً، وتقدم هذه القصص أدلـه وافره علـي أن المسلمين وقتئذ أو فـي العصر السابق مباشرة كانوا يشربون النبيذ علانية. ويمكن أن نقول دفاعاً عن الشبك، كما يستعمله العرب والأتراك، وأن أنواع التبغ الخفيفة التي يستعملونها عاده لها تأثير لطيف، فهي تهدئ الجهاز العصبي، وترهف الذهن بدلا من أن تبلده، ولا شك أن الشبك يتضمن كثيراً من ملذات الشرقيين، ويقدم إلي الفلاح منعشاً رخيصاً زهيداً ويبعده في الغالب عن الملذات المضرة[57].

5- الكوكايين:

يستخلص الكوكايين من نبات الكوكا Elrythroxyl on Coca وقد عرفه هذا النبات في أمريكا الجنوبية منذ أكثر من ألفي عام، وفي عصور ازدهار قبائل الأنكا كانت أوراق الكوكا تعتبر شيئاً ثميناً وكانت تحجز عادة عن العامة لكي يبقى استخدامها وقفاً على النبلاء ورجال الدين (كانت طريقة الاستخدام أو التعاطي هي مضغ الأوراق وإبقائها في الفم حوالي ساعة لاستحلابها) ونظراً لما لوحظ من تأثير منشط لهذه الأوراق فقد كان الجنود (أيام الانكا أيضاً) يستخدمونها عندما يخرجون للحرب.

وعندما احتل الأسبان البلاد في القرن السادس عشر ترك الهنود الحمر يمضغون أوراق الكوكا ليستعينوا بها على تحمل مشاق العمل للسادة الأسبان في مناجم الذهب والفضة.

وفي ظل هذا النظام الجديد عنى الإسبان بزراعة شجر الكوكا بانتظام (وكان الهنود الحمر من قبل يكتفون بالاعتماد على الأشجار التي تنبت في المكان تلقائياً) وأصبح العمال الهنود يعطون جزءاً من أجرهم مقابل مقادير من أوراق الكوكا. وانتشر مضغ الكوكا أكثر من ذي قبل وربما رأى فيها الهنود المقهورون أمام المستعمر الأسباني بقية باقية من ممارساتهم الحضارية المندثرة (إلى جانب أثارها التنشيطية) مما زادوا تمسكاً بها. ويقدر عدد الهنود الذين يمارسون الآن مضغ الكوكا بانتظام في بيرو وبوليفيا بما يزيد قليلاً على أربعة ملايين نسمة.

وعرفت أوربا الكوكايين في منتصف القرن التاسع عشر حين قدم الصيدلي الفرنسي انجلو مارياني أوراق نبات الكوكا للجمهور سنة 1856، وكان مارياني يستورد أوراق الكوكا ويستخرج عصارتها لصنع مستحضرات مختلفة منها قطع حلوى وشاي الكوكا ونبيذ ماريا، الذي كان يحتوي على الكوكايين وقد ربح ما رياني من بيع هذه المنتجات وخلع عليه البابا وسام تقديراً له على صنعه هذا النبيذ وأقبل الأمراء وكبار القوم على تعاطيه[58].

وفي أمريكا الشمالية قام بيمبرتون في ولاية اطلانطا سنة 1886 بصنع شراب يحتوي على خلاصة أوراق الكولا والكافيين المستخرج من جوزة الكولا، وكان يدعى أنه يعالج أمراضاً كثيرة وعرف هذا الشراب باسم (نبيذ الكولا) .

وأصبح الكوكايين يباع في الصيدليات بدون وصفات طبية على شكل نقط

للأنف ودواء للزكام، ولما أدرك الجمهور خطورة هذه المادة وأوراق الكولا التي تحتوي على 2% من مادة الكوكايين الفعالة قام بالضغط على مصنعي هذه المستحضرات، وأدى ذلك أن منعت شركة كوكاكولا إضافة الكوكايين إلى مستحضراتها.

وكان تعاطي الكوكايين غير المشروع منتشراً بين الزنوج الأمريكيين وخاصة بين عازفي موسيقا الجاز Jazz، وكذلك عازفي موسيقا الروك في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي مصر حتى بداية الحرب العالمية الأولى 1914، كان المخدران المعروفان هما الحشيش والأفيون، وقرب نهاية تلك الحرب تمكن يوناني من إدخال الكوكايين إلى مصر وتقديمه إلى أفراد الطبقة العليا، ثم امتدت عادة تعاطي الكوكايين إلى الطبقة الوسطى، وقد بدأ بيع الكوكايين في مصر منذ عام 1916 ثم تلاه بيع الهيروين، وانتشر تعاطي المخدرات البيضاء الكوكايين والهيروين، الأمر الذي يشير إلى أن مشكلة تعاطي المخدرات في مصر لم تصل إلى درجة خطيرة إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[59].

6- القات:

تنمو شجرة القات كاثا ايديوليس Cath edulis في اليمن والصومال والحبشة وكان الرحالة يسمونها (شاي العرب). ويرجع تاريخ القات إلى الأحباش الذين أدخلوه إلى اليمن سنة 525م، وفي كتاب (تحذير الثقات من أكل القهوة والقات) لابن العشيمي المتوفي سنة 1567 أن كلمتي قهوة وقات مأخوذتان من اللغة الامهرية (قهقها) وهي اسم مدينة صغيرة في الحبشة[60].

ويعتبر القات في أفريقيا من النباتات ذات المعجزات فهو في نظرهم نبته مباركة ولذلك كثيراً ما يستخدمونه في احتفالاتهم الدينية، والقصة الشائعة أن اليمنيين عرفوا القات بعد أن ذهب راع يبحث عن شاه افتقدها فوجدها نائمة مخدرة تحت شجرة القات وأوراقه في فمها.

ويقرر المقريزي بوجود شجرة من أرض الحبشة تسمى بالقات وهي شجرة لا تعطي فواكه ولكن السكان يأكلون أوراقها الصغيرة، هذه الشجرة تنشط الذاكرة، وتذكر الإنسان بما هو منسي، كما تضعف الشهية والشهوة.

وقد ذكره البيروني في (كتاب الطب) وجاء فيه ما يلي: القات شيء مستورد من تركستان وطعمه حامض. ولون القات أحمر مع رشه من السواد، وهو يبرد الحمى ويريح الصفراء ويبرد المعدة والمصران.

وتشير الدراسات إلى أن تعاطي القات في اليمن خلال القرنين الثالث عشر

والرابع عشر كان مقترناً بالشرائح الفقيرة، غير أنه اتجه بعد ذلك تدريجياً إلى الشرائح الغنية ذات النفوذ.

وشيوع عادة مضغ أوراق القات في اليمن أقرب إلى الظاهرة الاجتماعية منه إلى الانتشار الوبائي الإدماني حيث أنه منسوج نسجاً محكماً مع كثير من الوظائف والظواهر الاجتماعية الأخرى. بالإضافة إلى أن هناك جدل حول موجبات تحريم القات أو حله لا يزال مستمر حتى الوقت الحاضر، فهل يسري على القات من تحريم ما يسري على الخمر من تحريم باسم الدين[61].

7- المهلوسات:

عرف الإنسان منذ الأزمنة القديمة طريقة إلى استخدام المهلوسات لأغراض دينية أو شبه دينية غالباً (سحرية) ويقال أن الهاتف في معبد دلفى Delphi عند الإغريق كان يستحدث في نفسه حالة من الهلوسة باستنشاق ثاني أكسيد الكربون الذي كان ينبعث في الأبخرة الصادرة عن بعض الشقوق الصخرية، وفي المكسيك كان الوطنيون القدامى يتناولون نوعاً من نبات الصبار لأغراض مماثلة.

ومن عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات فطر (الأمانيتا ماسكاريا) وهو يسبب الهلوسات الشديدة، وقد عرف الهندوس هذا الفطر وسموه (السوما) وسماه كهنة الإغريق (امبروزيا) وكان هؤلاء الكهنة يستخدمونه في الطقوس الوثنية الجماعية، وسموه (طعام الآلهه). وقد عرفه أيضاً سكان شمال أوربا الفايكنج والذين كانوا يعبدون إناث الدببه وكان مقاتلوهم يستخدمونه قبل المعارك حتى يمنحهم الشجاعة والضرواه في القتال، واستخدمه شعوب وقبائل في شمال شرق أسيا ومازالوا يستخدمونه في ليالي الشتاء الطويلة.

ومن عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات فطر (زايلو سابين Psilocybin) وقد قامت في جوانتيمالا بأمريكا الجنوبية منذ 3500 سنة حضارة عبدت هذا الفطر، ولاحظ الرواد الأسبان أن هنود الازتيك كانوا يأكلون الفطر المقدس الذي سموه (تيوناتا كاتل) أو لحم الإله في لغتهم وكان الفطر يعطي متعاطيه القدرة على التنبؤ والتكهن، ويتم تناول الفطر في طقوس معقده بواسطة حكيم من الجماعة أو شخص عادي. وعلى الشخص أن يمتنع عن شرب الخمر والقهوة وأكل الدجاج والبيض والدهون والجماع لمدة أربعة أيام قبل وبعد الاحتفال، وإذا أخل بشرط من هذه الشروط اعتبره القوم مجنوناً، ويبدأ الاحتفال مع شروق الشمس وينتهي بغروبها[62].

ويؤدي تناول الفطر إلى هلوسات بصرية وإلى الاسترخاء والدوار والشعور ببطء مرور الوقت والانفصال عن الواقع والشعور بإدراك بواطن الأمور وقد انتشر استعماله مثل عقاقير الهلوسة الأخرى بين الكُتاب والشُعراء والموسيقيين والطلبة لتصورهم أنه يرفع قدرتهم على الإبداع واستشعار الجمال.

ومن عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات (الميكالين) ويسمى صبار البيوتي

Peyote وينمو في صحارى أمريكا الوسطى والشمالية، واستخدمه الازتيك والهنود الحمر الآخرون في طقوسهم الدينية واستمروا في استعماله حتى بعد اعتناقهم المسيحية، بل أنهم يعتبرونه عادة مميزة خاصة بهم.

ويمارس الهنود الحمر ما يسمى برقصة الأشباح فيقومون بحركات معينة ومنتظمة أثناء تعاطيهم أقراص الصبار المجففة، ويستخدم الصبار بصورة جماعية ولا تسمح للمشارك بالانسحاب من الجماعة، وتستخدم الطقوس التي تمنع الانزواء أو عدم إدراك مرور الوقت أو ما قد يؤذي المتعاطي والجماعة.

ومن عقاقير الهلوسة الاتروبا بلادونا Atropa Belladonna كان هذا النبات شائع الاستعمال في العصور الوسطى، وكانت الساحرات يستعملنه لإعطائهن الإحساس بالطيران في الهواء، وكان يستخدم لدى نساء الرومان وقدماء المصريين في تجميل العينين لأنه يوسع بؤبؤ العين(63).

مسكنات الألم:

تعتبر الساليسيلات أكثر المسكنات انتشاراً في العالم، وهي مشتقة من لحاء الشجر الصفصاف الذي استخدم منذ آلاف السنين. وأشهرها الأسبرين.

وكلمة ساليسيلات مشتقة من الكلمة اللاتينية (ساليكسن) التي تعني شجرة الصفصاف واستخدمها الإغريق في علاج الألم والنقرس وأمراض أخرى، وتحدث ارسطاطاليس عن اللحاء الذي يسكن الألم واستخدمه الطبيب الروماني جالينوس في علاج مرضاه. وفي القرون الوسطى بطل استخدام هذا اللحاء عندما أعلن القديس أوغسطين أن كل أمراض المسيحيين من فعل الشيطان وعقاب من الرب وعليهم تحملها، وكان الهنود الحمر في ذلك الوقت يشربون اللحاء المغلي في الماء ليخفف الحمى(64).

8- المنبهات: (البن – الشاي – الكاكاو):

- القهوة: العنصر الفعال في البن والشاي هو الكافيين Caffeine، وقد عرف الإنسان نبات البن كافيا ارابيكا Caffea Arabica منذ مدة طويلة ويقال أن العرب أول من عرفوه، ويروى أن راعياً اسمه الخالدي رأى غنمه تركض وترقص بعد أن أكلت من ثمار شجرة معينة فتبعها إلى مكان الشجرة وأكل من الثمار فشعر بالنشوة والنشاط، ولعل هذه أسطورة من الأساطير التي تدور حول أصل القهوة. ولكن الأمر الذي لا شك فيه أنها كانت منتشرة في شبه الجزيرة. وقد ذكرت في كتب الأطباء العرب سنة 900 ب م لعلاج الحصبة وأمراض أخرى كثيرة(65).

وتعتبر القهوة نعيماً مماثلاً للتبغ وتؤخذ معه، وقد ساعد على جعل النبيذ أقل انتشاراً بين العرب. ويؤيد هذا الافتراض لفظ (القهوة)، وهي تسمية عربية قديمة للنبيذ،

ويقال أن هذا الشراب المنعش اكتشفه في الجزء الأخير من القرن الثالث عشر من الميلاد الشيخ عمر، الذي دفعه الاضطهاد إلى أحد جبال اليمن مع بعض أتباعه وحمله الجوع على أن يشرب منقوع البن في اليمن الذي ينبت هناك بالطبيعة. غير أن استعمال البن لم ينتشر في اليمن إلا بعد هذا الزمن بجيلين. وقد استوردت مصر البن في أواخر القرن الخامس أو ابتداء القرن السادس عشر من الميلاد، أو قبل إدخال التبغ إلى الشرق بجيل تقريباً. وكان يشربه حينئذ في جامع الأزهر فقراء اليمن ومكة والمدينة، الذين وجدوا فيه منشطاً على العبادة والتسبيح وكانوا يشربونه بكثرة.

وقد أثارت القهوة منازعات حادة فكان من العلماء من يؤكد أن القهوة لها خصائص مسكره فتحرم على المسلمين، وقد نسب بعضهم إلى القهوة الأضرار بالعقل والبدن مما أدى إلى منع بيعها وكسروا أوانيها بل وإلى تعزيز بايعها بالضرب. بينما كان آخرون يقررون أن للقهوة فضائل إحداها مقاومة النوم فتكون عوناً للأتقياء على عبادتهم ليلاً وكثيراً ما كان بيع البن حينئذ يحلل ويحرم حسب رأي الحاكم. أما الآن فيقبل جميع المسلمين تقريباً بحل القهوة[66].

وقد حرمت عديد من الدول القهوة والشاي ثم عدلت عن هذه القرارات استناداً إلى مبررات متعددة. وفي سنة 1874 قدمت نساء انجلترا عريضة هاجمه فيها شرب القهوة وكتبن في العريضة (عجيب أن يتحول مواطنونا من الجعة اللذيذة إلى مشروبات دخيلة لتساعدهم على تمضية وقتهم. هذه المشروبات التي تلسع حلوقهم وتؤدي إلى إنفاق أموالهم. وكل ذلك من أجل شراب أسود شديد المرارة وكريه الرائحة ويسبب الغثيان وكأنه ماء أسن، ويبدو أنها (القهوة) ساحرة تركية تجذب إليها الأغنياء والفقراء على حد سواء بوسائل سحرية) [67].

وفي سنة 1911 كتب د. جوناثان هاتشينسون قائلاً (أن الشاي والقهوة تهدئ وتخدر كل توتر وتمنع الصداع وتنشط المخ، وهي تحافظ على سلامة الأسنان وتقوي الحبال الصوتية وتمنع التهاب الحلق ... إن هذه المركبات مقوية للأعصاب.

- الشاي: كان الشاي في أول الأمر يسمى (تاي) أو (تشا) وهي كلمة صينية ثم تحولت إلى (كيشا) وتقول الأساطير أن داروما البوذي مؤسس ديانة الزن غشاه النعاس ذات يوم وهو يتأمل، وحتى يضمن عدم تكرار ذلك قطع جفنيه العلويين ولما سقط الجفنان على الأرض نبت في مكان سقوطها نبات يسمى الإرق لمن يشرب أوراقه المغلية وكانت هذه هي شجرة الشاي.

ونجد أول إشارة إلى الشاي في المخطوطات الصينية القديمة حوالي 350 ب. م، وقد انتشر استعماله بالتدريج حين كان يستخدم كنبات طبي، أما استعمال الشاي لغير الأغراض الطبية فبدأ ببطء سنة 780 ب.م وفرضت الصين الضرائب على الشاي. أما أوربا فلم تعرف الشاي إلا بعد مضي 8 قرون. وقد قال بعض الأوربيين (أنه يزيل

الحمى والصداع) وأدخل الهولنديون الشاي في أوربا لأول مره. وفي سنة 1800 تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية ومنحت الملكة إليزابيث الأولى الامتيازات لتلك الشركة لتسويق الشاي.

وقامت شركة الهند الشرقية بالدعاية للشاي، مؤكده رخص الشاي والضرائب المرتفعة على المشروبات الكحولية مما جعل البريطانيين من أكثر الشعوب إقبالاً على شرب الشاي.

وفي سنة 1625 كتب أحد الأطباء الإنجليز قائلاً إن استعمال الشاي بواسطة الذين يزيد عمرهم عن 40 سنة يسبب الوفاة المبكرة، ولكن ذلك لم يمنع انتشار شرب الشاي، فأصبح يباع علناً سنة 1657.

وكان الشاي من العوامل التي أدت إلى تمرد الأمريكيين على مستعمريهم البريطانيين، لأن الحكومة البريطانية فرضت الضرائب الباهظة على الشاي المصدر إلى أمريكا، فقاطع المستوطنون الشاي الإنجليزي وانتشر التهريب ثم صدرت شركة الهند الشرقية الشاي الرخيص إلى أمريكا الشمالية[68].

- الكاكاو: المادة الفعالة في الكاكاو (الثيوبرومين) وهي تشبه الكافين ولكنها أضعف منه تأثيراً. وهناك أسطورة عن شجرة الشوكلاتة ، تقول أسطورة هنود الازتك أن إله الهواء كوتيزال كوتل Quitza Coetls أهدى الإنسان شجرة من الجنة هي شجرة الشوكولاتة، وقد أطلق عالم الأحياء لينباس على شجرة الكاكاو اسم ثيوبروما، وتعني طعام الألهه. وكلمة الشوكولاتل التي انحدرت منها كلمة شوكولاته التي نستخدمها الآن من أصل مايا (قبيلة الهنود الحمر) مشتقة من (شوكو) التي تعني (دافئ) ولائل، (مشروب).

وأدخل المستعمر الأسباني كورتيز زراعة شجرة الكاكاو (ثيوبروما كاكاو) وحضر شطائر من معجون الكاكاو، وكانت هذه الشطائر تؤكل كما هي أو تطحن أو تذاب في الماء وتشرب، واحتفظ الأسبان بسر تحضير الشوكولاته من الكاكاو لمدة قرن كامل.

وفي القرن السابع عشر انتشر الكاكاو، وفي أوربا أصبح شراباً يقبل عليه الأغنياء والأمراء في بادئ الأمر ثم انتشر بين الفئات الأخرى، وافتتحت مشارب الكاكاو (مثل المقاهي) في انجلترا سنة 1650 ثم حذرت الحكومة من أضرار الكاكاو على الصحة، ولكن عادة استعمالها استمرت في الانتشار[69].

خامساً- الأوهام الثقافية حول تعاطي وإدمان المخدرات:

1- نباتات طبيعية:

تسود معتقدات خاطئة حول إنتاج المخدرات (لكسر حاجز الخوف) لدى المتعاطين على النحو التالي:

- المخدرات نباتات طبيعية - غير ضارة لأنها طبيعية - الله لا يخلق شيئا ضارا.

- إنهم وجدوا أجدادهم يتعاملون بها.
- لا يعرفون أنها ضارة.
- لا يوجد تحريم قاطع صريح لها في الدين.
- ليس فيها إساءة استخدام لأن ليس لها استعمال أصلي مثل العقاقير.
- إذا تعامل الإنسان معها باعتدال يمكن أن يتجنب أضرارها.

2 - عقاقير طبية:
- كثير من الأطباء يصفونها للمرضى.
- فوائدها ظاهرة (دواعي الاستعمال).
- خبرة الآخرين بها.

3 - معلومات حول فوائد المخدرات (لتجسيد الأوهام):
- تساعد على تحمل التعب والعمل الشاق.
- تساعد على التركيز.
- تساعد على الاسترخاء.
- تقوي القدرة الجنسية.
- تساعد على الإبداع (إطلاق النكات - تداول القصص الفردية عن أشخاص كانوا يتعاطونها - سير بعض المشاهير التي توحي بأنهم كانوا يستعملونها).
- تعطي الشجاعة.
- تعطي اللياقة والنشاط الاجتماعي.
- تحل عقدة اللسان والخجل[70].

4 - أضرار المخدرات (للتقليل من شأنها):
- تحدث للآخرين ولكن لا تحدث لنا.
- لا تحدث إلا بعد وقت طويل.
- كثير من أقاربنا مدمنون ولكن لا يحدث لهم أضرار.

5- القيم الشائعة (دعاية مضللة):

أ - تاجر المخدرات (قدوة مصطنعة):

مغامر، جسور، يفكر ويخطط ويوزع الأدوار، صاحب قدرات غير عادية في التنظيم والتدبير، قادر على الانتصار في مواجهة الشرطة والقانون، يكسب الاحترام والمصداقية بأسلوبه في الحديث وطريقة لبسه وسكنه ، يجمع بين الحكمة والقسوة.

ب- المتعاطي (أمثلة خاوية):
- الحشاش: خفيف الظل، سريع البديهة، مبهج، مبتهج، بتاع مزاج، ذكي بالفطرة، يجيد الاستماع.
- متعاطي الخمور: اجتماعي من طبقة اجتماعية عالية، رجل أعمال.

- متعاطي الهيروين: مودرن، كلاس، يجاري العصر، مزاجه عالي.
- متعاطي العقاقير الطبية: جريء، مغامر، يحب التجربة، له خبرات واسعة.

6- جلسة التعاطي:

أ - جلسة الهيروين، (السراب)

- تعطي الحنان والحب لفاقديه (رجال أعمال سرقهم الوقت في البحث عن الثروة ، شباب يعانون من قسوة الوالدين ...) [71].
- جلسة خاصة جدا (يتبادل فيها الأطراف كل ما يمكن تصوره من سلوكيات معبرة عن الحب متجاوزين حتى في الكرامة الإنسانية).
- عادة تنتهي الجلسة بالحزن والكآبة والندم على التعاطي والظروف التي أوصلته إلى هذه الحال.

ب - جلسة الحشيش (الخدعة الكبرى):

- جلسة حيه فيها تفاعلات كثيرة.
- لا تضر بالصورة الاجتماعية للمتعاطي.
- منظمة الأدوار (أي لكل واحد دوره في الجلسة).
- الكبير: هو صاحب الحشيش ويتولى التوزيع.
- سكرة القعدة: وهو ما يشبه مثقف جلسة المخدرات.
- المخدم: وهو من يقوم بالتجهيز والتقديم.
- العبيط: وهو من يشتري الحشيش ويخدم الحاضرين وهو في العادة أضحوكة الجلسة في البداية.
- عادة ما تنتهي الجلسة بنشوء تحزبات بين الحضور تتبادل السخرية والتجريح.

7- المكونات التعبيرية:

- لهم لغة خاصة بهم (قاموس المدمنين).
- لهم رموزهم الخاصة:
  - الكركرة (القرقعة) تشير إلى طول خبرة التعاطي.
  - بروز الشعلة تدل على كفاءة المتعاطي.
  - انكسار حجر الجوزة هو أعلى الرموز على قدرة وخبرة وكفاءة المتعاطي.
  - مقاومة أثر المخدر لأطول فترة تشير إلى تفوقه في التحمل.
- لهم حركاتهم الخاصة أثناء التعاطي الفردي أو في الجلسات الجماعية.
- لكل منهم تقاليده أثناء التعاطي.
- عادة تكون جلسة التعاطي أهم من التعاطي نفسه حيث أن الجلسة توظف التعاطي لخدمتها (بنتعاطى علشان نفرفش القعدة) [72].

سادساً- مصطلحات ولغة المدمنين

1- المصطلحات المتداولة بين المدمنين

- عامل دماغ (بمعني متعاطي لأي مخدر)
- مدمغ (أي متعاطي مخدرات قوية)
- مون ون (تقال عن المسطول حينما تبدو عليه مظاهر المخدر)
- يعمل دماغ أو أحلي دماغ (أي يتعاطي لدرجة السرور والأنبساط)
- عامل أعلي دماغ.
- مبرشم (أي متعاطي للبرشام وغالباً يكون صامتاً ومبلماً)
- مسييد (أي متعاطي أقراص سي دي، وهي نوع من الإدمان الكيميائي).
- مكرس (أي متعاطي أقراص أبوصليبه، (صفة مأخوذة من اللفظ Cross أي صليب بالانجليزية)
- بيرول (إي بيلف سجاير)
- ضارب جوينت (إي سيجارة بانجو ملفوفة)
- بيسقط (وصف لحاله المتعاطي للبانجو ورأسه يسقط)
- يطقطق حجرين (أي يتعاطي أيضاً، وقد كثر الأن توصيف حالة التعاطي بأساليب مختلفة وموحيه بالبهجة والسرور)
- في الحلاوة (أي مسطول)
- يعمر الطاسة (أي يتناول كيفه حتي يعمر رأسة بالافكار أو يحشش)
- يضرب حجرين (أي يشرب شيشه أو جوزه، ومن مفردات الحشاشين)
- يستمخ (أي يسر ويسعد من امر أو تصرف ما، أو يشعر بلذة)
- متكيف (أي سعيد ومبسوط وأيضاً مسطول وعامل دماغ)
- ميه مسا (من مفردات الحشاشين في تناول الجوزه بينهم)
- صباح الخير بالليل (مقوله حشاشين أيضا، لكنها متداوله علي سبيل الفكاهه)
- ودع أهلك (مسمي لنوع من المخدرات معناه أنه قوي حتى أن المرء يتوه عن ذويه، مثله (ماتتكشفش علي حد) وصار مصطلحاً متداولاً مشتقاً من أسماء أنواع الحشاشين)
- آخر سلطنة (كناية عن الانبساط والسعادة ووصول المتعاطي للنشوة) [73]

2- لغة خاصة بالمدمنين:

- توجد لغة خاصة بالمدنين بألفاظ خاصة بالمدمنين لتسهيل الاتصال وخدمه بعضهم البعض وتعقيد فهم الآخرين لهم، ولذلك يحتفظ المدمنون لأنفسهم بلغة خاصة لا يفهمها إلا هم، وهي على النحو التالي:
- ريفوتريل (أبو زمبة).
- السبرتو (منقوع البراطيش).
- أبيتريل (زبادي).

- روهينول (أبو صليبة).
- كوميتال (جماجم).
- سردالود (توهان).
- سيكونال (فراولة).
- باركينول (صراصير) [74].

3- مفردات قاموس المدمنين:

- النغمة والكمنجة: الحشيش مادة بنية اللون تستخرج من نبات القنب الهندي يسمونها (النغمة) وفي صعيد مصر اسمها (الكمنجة).
- التعميرة: يطلق على الحشيش لأنهم يعتقدون أنه يعمر الدماغ.
- الحجر أو الكرسي: يطلق على قطعة الحشيش الموجودة في حجر الجوزة أو البوري.
- المعسل: نوع من التبغ يخلط بالعسل الأسود حتى يصير احتراقه بطيئا وتستعمل الجوزة أو البوري لتدخينه، ويضاف إليه نكهات بعض الفواكه مثل التفاح والكريز، الكنتالوب ... الخ.
- التخميس: استخدام سيجارة الحشيش تتم تبادلها بين عدة أفراد.
- الساندويتش: خليط الحشيش بالحلوى كالحلاوة الطحينية والشيكولاته.
- الصينية: تناول الحشيش محضرا داخل صواني الأكل.
- الكنكة: تحضير الحشيش عن طريق خلطه مع الماء والسكر، ثم غليه وشربه وقد يذاب في الشاي والقهوة.
- الكشرى: قطع الحشيش المفروكة مخلوطة بالمعسل .
- المدفع أو الصاروخ: مجموعة سجائر محشوة بالمخدر.
- حشيش كباية أو خابور: وضع الحشيش في دبوس ثم تسخينه مع سرعة إدخاله إلى كوب مغطى بورق سلوفان أو قصدير حتى يكبت دخان الحشيش، ثم يتم شفطه أو استنشاقه.
- صنف: اسم شامل لنوع المخدر المطلوب.
- الطربة أو الكيس: كيس من القماش يحتوي على قطعة كبيرة من الحشيش، قد يكتب عليه الاسم الحركي للحشيش كاسم أغنية أو فيلم، وأصل الكلمة أنهم كانوا يخفون الحشيش بدقة في الأكياس تحت الأرض[75].
- الكبس والغبارة والهبو: أنواع الحشيش المتداولة في السوق، ويعد الكبس أردأها. أما الهبو فهو أفضلها، وأحيانا يسمون أرقى أنواع الحشيش: زيت ويعتبرونه خلاصة الأنواع.
- القرش: ما يساوي وزن عمله نقدية، ويباع الحشيش والأفيون بالقرش.
- المسطول أو المونون أو المهبس: هي الحالة التي يكون عليها متعاطي الحشيش أو البرشام حيث يفقد اتزانه وإدراكه للزمان والمكان ويكاد يفقد وعيه.

- أبو النوم: الأفيون وهو مادة تستخرج من نبات الخشخاش، ويطلق عليها أحيانا أبو النوم.
- مأفين: من تناول الأفيون.
- البصمة: قطعة صغيرة من الحشيش توضع فوق حجر الشيشة أو الجوزة.
- الاصطباحة: تناول المخدرات صباحا.
- البوسطة: قطعة المخدر التي يتناولها المدمن.
- سنة: قطعة الأفيون التي يضعها المدمن في فمه.
- الشمة: جرعة البودرة المستنشقة.
- الشمام: المتعاطي لبودرة الهيروين أو الكوكايين، والطريقة شبيهة بتناول النشوق.
- التذكرة: ما يأخذه المتعاطي من البودرة في المرة الواحدة.
- ألسرنجاتي: الذي يأخذ الهيروين أو الماكستون فورت بالسرنجة أو الحقنة.
- يقلب / يعمل فلاشات، يكرك: إدخال الدم وإخراجه عدة مرات إلى الحقنة الموضوعة في اليد .
- مبلبع: من يتناول الأقراص المخدرة أو المنومة[76].
- مبرشم: من يتناول البرشام.
- فانتوم: مادة مخدرة تتعاطى كأقراص أو كحقن، وهي تحتوي على مادة ميثالكوالون وتسمى الأقراص منها ماندركس.
- ماكس أو ماكستون فورت: خليط من الباربيتورات، وهي مهدئات والأمفيتامينات وهي منشطات وتعطى عن طريق الحقن.
- الجوان أو سمسون: السيجارة الملفوفة الصغيرة وفي حالة كبر حجمها تسمى صاروخ.
- يعمل دماغ: يأخذ مادة الكيف.
- صراصير: يطلق على عقار (الباركينول) لأن تعاطيه يؤدي إلى هلاوس بصرية.
- أبو زمبة: يطلق على الرينوتريل، لأن المدخن يأخذه فلا يحصل على النشوة التي يطلبها.
- أبو صليبة ـ الصليبة: أو الكروس اسم يطلق على الروهينول وهو من مجموعة البتروديازين (مهدئات صغرى) [77].

سابعاً: الإعلام والمخدرات:

هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية في علاقة وسائل الإعلام بتعاطي المخدرات وهي:

ـ الاتجاه الأول: ليس لوسائل الإعلام أي أثر على الانحراف ويستشهد أصحاب هذا الرأي بأن الجريمة مازالت موجودة ومنتشرة في العديد من المناطق التي لم تصلها وسائل الإعلام كما في بعض المناطق النائية.

ـ الاتجاه الثاني: وسائل الإعلام لها دور رئيسي في انحراف الشباب وتأثرهم بالأفلام والمسلسلات.

الاتجاه الثالث: وسائل الإعلام تساعد في استثارة الميول الإجرامية للأشخاص الذين

لديهم استعداد لهذه الميول فعلى الرغم من تعرض الشباب لوسائل الاتصال إلا أن مجموعة منهم هي التي تقوم بارتكاب السلوك المنحرف[78].

وقد أثبتت بعض الدراسات أن هناك علاقة إيجابية بين وسائل الإعلام وتعاطي المخدرات. فقد أشار كل من بلومر Blumer وهاوزر Hauser عن تأثير السينما على جنوح الأحداث وتبين ما يلي:

- 49% من الأحداث موضوع الدراسة اعترفوا أن السينما أثارت فيهم الرغبة في حمل سلاح ناري.
- 45% أوحت إليهم بفكرة تعاطي المخدرات.
- 28% أوحت إليهم بأسلوب معين لتعاطي المواد الكحولية.

وتساهم وسائل الإعلام في عرض صور مضللة للحقائق والمعلومات المتعلقة بتعاطي المخدرات من ضمنها ما يلي:

- أن تكون الفكرة المعروضة في الأساس غير حقيقية كأن يعرض في الفيلم أو المسلسل أن تعاطي المخدرات هو الوسيلة الأساسية للاستثارة الجنسية أو الحل الأمثل للتخلص من الهموم والضغوطات النفسية[79].
- قد تعرض الفكرة بشكل متناقض (أي جزء منها حقيقي والجزء الآخر غير حقيقي) ومثال ذلك أن تناول المخدرات كان نتيجة لتعاطي أحد أفراد الأسرة لها ولكن هذا التناول لا يتنافى مع قيم المجتمع الذي يصوره المسلسل أو الفيلم (أمرا مقبولا اجتماعيا).
- قد يكون البرنامج الإعلامي يحتوي على معلومات غير كافية أو مبتورة عن المخدرات مما يعطي انطباعا خاطئا أو غير واضح للمشاهد عن سوء استعمال المخدرات.
- قد تكون المعلومات المعروضة على المشاهد صحيحة وهامة ولكنها تعطي تصورا خاطئا للمشاهد نتيجة لمعالجتها بطريقة غير سليمة (إثارة الفضول - حب الاستطلاع في الشباب المشاهد عن طريقة إعداد المخدرات للتعاطي) [80].

كما أن الإعلام أحياناً يقوم بالترويج للمخدرات – سواء عن قصد أو دون قصد عندما يرسم صورة للمتعاطي أحياناً على أنه بطل شعبي يسير على خطاه الكثير. أو وضع المدمن داخل شخصية كوميدية وتصوره على أنه مسلي ومضحك، وفي حين آخر تصور المتعاطي على أنه ذات جاذبية وخفيف الدم ومرة أخرى على أنه من أجرأ الأشخاص وأخرى يصوره على أنه شخصية تتجمع حولها كل الناس لمحبته. وأحياناً تصور المدمن على أنه قادر على تحمل الحياة وحل مشاكل حياته وهناك أضرار جسيمة يمكن أن يضعها الإعلام أمام المدمنين المتعافين مثل عرض فيلم أو إعلان يوجد به طرق مختلفة لتعاطي المخدرات. وشرح المضحك والجميل في التعاطي، يرى المدمن المتعافي أن هذه الأشياء تزرع داخله الشوق إلى العودة إلى التعاطي مرة أخرى[81].

ويمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دوراً تنويرياً ورائداً في مجال مكافحة المخدرات والحد من انتشارها والوقاية منها وخاصة لدى المراهقين الذين يميلون إلى تقليد النماذج التي تعرضها الأعمال التليفزيونية أو السينمائية وقد أثبتت بعض الدراسات أن الأفراد الذين يتعاطون المخدرات يعتمدون على وسائل الإعلام أقل مقارنة بالأفراد الذين يتعاطون المخدرات ويعتمدون على خبراتهم الشخصية وأصدقائهم، مما يؤكد أهمية الدور الوقائي لوسائل الإعلام في مرحلة ما قبل التعاطي، ووجود ارتباط إيجابي قوي بين حصول الأفراد على المعلومات عن المخدرات من وسائل الإعلام واحتمال عدم تعاطيهم لهذه المخدرات[82].

وفي مصر والعالم العربي تعتبر البرامج الدرامية – الفنية أكثر البرامج متابعة، فقد أثبتت استبيانات اتجاهات الرأي العام أن نسبة كبيرة من المشاهدين تضع الدراما موقع الصدارة في تسلسل اختيارها من البرامج المختلفة، وفي الأقطار العربية عموماً ما لا يقل عن 80% من المشاهدين للأعمال الدرامية، وقد تصل هذه النسبة إلى 90% أو أكثر في بعض الأقطار العربية، وقضية المخدرات تقف على رأس القضايا التي تتناولها المسلسلات والتمثيليات الدرامية العربية، سواء كانت في سياق الفيلم أو المسلسل الدرامي بصفة عامة أو في جزء تمثيلي من برنامج وثائقي تليفزيوني، فالمهم هنا هو استعراض خطورة تناول المخدرات والإتجار بها.

ويوضح سمارت smart أهمية الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في مجال الوقاية من تعاطي المواد النفسية، وقد أرجع انخفاض نسبة التعاطي بين الطلاب في عام (1983) عن عام (1977) إلى عدة عوامل منها ما تقدمه وسائل الإعلام لمعالجة المشكلة وزيادة وعي الطلاب بخطورتها.

ويشير والاك Walk إلى أن للتلفزيون وبرامج المواجهة والإعلانات والحملات الإعلانية يمكن أن تستخدم كلها كوسيلة لتغيير سلوك الفرد، وذلك في الوقاية من تعاطي المواد النفسية.

ويؤكد والاك وديونج Walk & Dung كذلك على أنه عند التخطيط لحملة إعلامية فلابد أن يعمل القائمون على تلك الحملات على تطبيق مبادئ نظريات تغيير السلوك والتي تفسر التدخل الضروري والفعال، وكذلك نظريات التعلم الاجتماعي ونظريات الاتصال.

فالحملات الإعلامية لها هدف أساسي وهو مساعدة الشباب على عدم الانخراط في تعاطي المواد النفسية، خاصة الماريجوانا والمواد المستنشقة. وأيضاً إقناع المتعاطين بالمناسبة بالإقلاع عن التعاطي، وبيان الضرر الناتج عن التعاطي، وخصوصاً بالنسبة للأسر والبالغين الآخرين الذين لهم تأثير على المراهقين لمساعدتهم على التوقف عن تعاطي هذه المواد.

وقد أظهرت دراسة جليدر وزملاؤه نتائج مبشره لتأثير وسائل الإعلام المبنية على نموذج قائم على التأثير المجتمعي من أجل تقليل تعاطي المواد النفسية في مبنى الجامعة (إن حملات الدعاية لمنع التدخين أظهرت نتائج إيجابية للإقلاع عن التدخين ولكن على الأمد القصير) .

وقد أشار سويف إلى أن استخدام أدوات الإعلام الجماهيرية بقصد إعطاء المعلومات للجمهور وإثناء الأشخاص الذين يحتمل أن يقدموا على التعاطي (على اختلاف نوعياتهم) عن أنواع بعينها من التعاطي أو عن التعاطي أياً كان هذا يعتبر مثالاً للتبسيط المخل في تناول مشكلات هي بطبيعتها معقدة ومما يؤسف له أن هذا التناول قد يأتي بعكس المطلوب. وجاء أيضاً أن إلقاء المعلومات عن المواد النفسية من خلال أدوات الإعلام الجماهيرية حتى وإن تم إعدادها بعناية، سوف يصل إلى مجموعات من المواطنين لم يكونوا مقصودين أصلاً بهذه الرسالة، وأن مجرد تكرار الحديث عن موقف غير مألوف (مثل تعاطي المواد النفسية) بغض النظر عن كون هذا الحديث يتم بنغمة إيجابية أو سلبية، يمكن أن يكون فيه الكفاية لإضفاء صفة الجاذبية على الموقف، وبالتالي فربما أتى بما هو عكس المطلوب[83].

ثامناً- الثقافة الدينية والمخدرات:

1- موقف اليهودية من تعاطي المخدرات

كانت الخمر تستخدم بواسطة الكهنة فقط في الطقوس الدينية الوثنية القديمة ثم شاع استعمالها بين الناس. وفي تلك الديانات كان الكهنة يقدمون القرابين البشرية للآلهة ثم استبدلوا بها الحيوانات. وكانت إراقة الدماء من أهم عناصر هذه الطقوس لأن الوثنيين كانوا يعتقدون بقوة الدم السحرية، أي أن شرب دم القربان أو مسحه على الجسم ينقل قوة الضحية إلى من يستعمل دماءها. ومع مضي الزمن حلت الخمر محل الدم في هذه الطقوس. وفي الديانات الهندية البدائية كان السكر من الطقوس المستخدمة، وقد عرفت هذه الشعوب مادة السوما التي كانوا يعتقدون أنها تخلد الإنسان.

وفي الديانة الهندوسية والفارسية القديمة ترانيم دينية ينسب للخمر صفات مقدسة. فهي تشفي وتقوي الإنسان وتطيل عمره. واقتفى الإغريق خطى الهندوس والفرس فكانت الطقوس العربيدة في مجلس الشيوخ الإغريقي بصورة استدعت إصدار قانون يمنعها.

وقد تبنى المسيحيون الأوائل الديونيسية (نسبة إلى ديونيوس إله الخمر عند الإغريق). ثم تبناها الألمان والأسكندينافيون القدامى حتى بعد اعتناقهم المسيحية حيث كانت جماعات دينية تكرم الموتى وتحتفل بالأعياد بتناول كميات كبيرة من الخمر والطعام.

وقد جاءت اليهودية وبعدها المسيحية إلى الشعوب السامية التي اعتادت شرب النبيذ مع طعامها يوميا وربطت بين النبيذ وطقوس دينية ورثوها عن الفراعنة والآشوريين والكلدانيين. وكانت الوجبة الجماعية ممارسة مقدسة يلعب تعاطي النبيذ فيها دورا أساسيا، ونجد في العهد القديم والحديث تحفظات ونصائح وقيوداً عديدة عن تناول النبيذ وأخطار الإفراط في تعاطيه، كما أن لوثر وأتباعه حبذوا الامتناع عن تعاطي الخمر دون تحريمها صراحة[84].

خلاصة ما جاء في التواره والتلمود (تعاليم الأحبار) أن الخمر عند اليهود حلال مباح وليست حراماً ومحظوراً مادمت تشرب باعتدال ودون إفراط باعتبارها من

مباهج الحياه ونشوتها. وكذلك فإن الله يمنعها عن من لايرضي عنه كعقاب له. ويقدمها بوفرة لمن يرضي عنه ثواباً له. أما السكر حتى فقدان العقل فهو منهي عنه. ويحظر علي الآباء (الكهنة) شرب الخمر عند دخول المعبد للتعليم والقضاء في الخصومات.

والخمر الناتج عن الآرض (المقدسة) يعتبر مع القمح والزيت جزءاً من الغذاء اليومي (سفر التثنية 8:8 -11) لأنه (يفرح قلب الإنسان) مزمور 104:15).

وتؤكد التقاليد العبرانية أن للخمر طابعين أحدهما يفيد والأخر يضر فهو يعد من الخيرات المعتبرة، إذ يجعل للحياة بهجة (تلمود: سيراخ 6: 32) علي أن يكون تداوله باعتدال، وهذا مايدخل في مجال التوازن الإنساني[85].

إن الخمر حياه الانسان إذا اعتدل في شربها (سيراخ 31:32) ولأن الخمر من خيرات الله ككل منتجات الأرض. فقد كان يعد (في معبد شيلو) من التقدمات التي تقدم إلي الآله أو الكاهن، كما يدخل ضمن البواكير (أول كل شيء) التي تؤول إلي الكهنه (تثنية 4: 18) وفي بعض أسفار العهد القديم فإن من العقوبات الكبري التي ينزلها الله بشعبة الذي يغضبه حرمانه من الخمر (عاموسي 5: 11، تثنيه 28: 39).

وبالعكس فإن السعادة التي وعهد الله بها المؤمنين هي وفرة الخمر وكثرتها (عاموسي 9: 14، هوشع 2: 240، أرقيا 31:12، اشعيا 25:6، زكريا 17:9)[86].

لم تكن الخمر نجس أو كانت محرمة في العهد القديم، بل ما تم التحذير منه هو السكر أو شرب الخمر إلى حد الهذيان أو الافراط في شرب الخمر أو ادمان الخمر.

فمنذ بداية الأسفار يظهر ملكي صادق كاهن الله العلي الذي يقدم للرب قرابين خبز وخمر (وملكي صادق ملك شاليم اخرج خبزاً وخمراً أو كان كاهنا لله العلي (تك 14:18)وعندما بارك يعقوب يهوذا كانت بركته تشمل الخمر أيضاً كرمز للخير والبركة لا للنجس أو التحريم

أما في عصر التشريع الذي جاء به موسي من الرب كان الخمر يستعمل في كل الطقوس اليهودية، مثل ذبائح الخطية التي تقدم لطهارة الشعب علي المذبح حيث كان الخمر يستعمل لأنه رمز القداسة والتطهير.

وفي وصايا العهد مع اليهود يطلب منهم الرب أن يفرحوا بنعم الحياه ومنها الخمر (وانفق الفضة في كل ما تشتهي لنفسك من البقر والغنم والخمر والسكر وكل ما تطلب نفسك وافرح انت وبنيك) (تثنه 14-26) ولو تركوا الرب كانت عقوبتهم التي أعلنها الرب أنهم سيعملون في الأرض ولن يستمتعوا بخيراتها ومنها الخمر.

والنبي داود يسبح الرب ويشكره علي نعمته ومنها الخمر (المنبت عشباً للبهائم وخضره لخدمه الإنسان، لإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الأنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت وخبز يسند قلب الإنسان (مر 104: 14-15) (كلوا من طعامي واشربوا من الخمر التي مزجتها، اتركوا الجهالات فتحيوا وسيروا في طريق الفهم) (أم 9: 5-6).

الخمر في أصلها نعمه الهيه من أجل فرح الإنسان، ويقول سليمان في حكمته إلي شرب الخمر بفرح (اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضي عملك) (حا9:7) [87].

وقد بينت التوراة في شرب الخمر مضرة كبيرة فوضحت محذرة (لا تكن بين شريبي الخمر بين المتلفين اجسادهم) (امثال 20-23) ونهت التوراة أيضاً من السكر بالخمر منبهه إلي عواقبة الوخيمة. ويل للمبكريين صباحا يبتغون السكر للمتأخرين في العتمة تلهيهم الخمر) (اشعيا:11).

وقاعدة تجنب الخمر وارده في سفر اللاوين وفي سفر العهد (وكلم الرب هارون قائلاً خمراً ومسكراً، لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلي المعبد وذلك للتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر) (اللاوين 8: 10).

وكلم الرب موسي قائلاً: كلم بني اسرائيل وقل لهم: اذا اعتزل رجل وامرأه لينذر للرب. فعن الخمر والمسكر (يتجنب) ولايشرب خل الخمر ولا خل المسكر ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنباً رطباً ولا يابساً كل أيام نذره، ولا يأكل من كل ما يعمل منه الخمر كل أيام اعتزاله) (عدد 1- 4 – 16) [88].

فهناك استثناءات منع الرب فيها شرب الخمر كلاهما للنذراء والمكرسين فالرب أمر الكهنة (ممثلين في هارون) بألا يشربوا ولا يسكروا (خمراً وسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم خيمة الاجتماع)

وهناك أربع درجات لتعاطي الخمور في سفر الامثال الاصحاح الثالث والعشرون:

1 - الدرجة الأولي: درجة الأمان: وهذه الدرجة واضحة في الأيات التالية (لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين للذين يدمنون الخمر (الأمثال 23:29 و30).
2 - الدرجة الثانية: درجة الشرب فقط: اذ تقول الأيه الثلاثون (لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين؟ للذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج) (أمثال 30:23).
3 - الدرجة الثالثة: مجرد النظر إليها (أمثال 31): لا تنظر إلي الخمر إذا احمرت حين تظهر حباتها (تألقت) في الكأس وساغت (سالت) مرقرقه في الأخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان).
4 - الدرجة الرابعة: عدم الجلوس مع الشاربين (أمثال 20:23) [89]. (لاتكن بين شريبي الخمر بين المتلفين أجسادهم)

ويقول هوشع النبي: ألزني والخمر تخلب القلب) (هوشع 11:4) وقد ورد في سفر الأمثال ما يلي (الخمر مستهزئة، السكر عجاج، ومن يترنح بها فليس بحكيم). (أمثال 20-1)

(ابتلعتها الخمر، تاهافي المسكر، ضلال في الرؤيا) (سفر الأمثال 23:20)

(يتمايلون ويترنحون مثل السكران، وكل حكمتهم ابتلعت) (سفر المزامير 27: 107)

والمعروف أن الخمر تلعب براس شاربها لذلك كان لايسمح للكاهن في العهد القديم أن يشرب منها عند ممارسة الخدمة المقدسة (الاوين 9:10)، كما أنه لم يكن للقضاة أن يشربوا منها عند جلوسهم في مجالس القضاء (أمثال 3:4-5 واشعيا 7:28) [90].

وهناك نصيحة للملوك بعدم شرب الخمر (ليس للملوك أن يشربوا الخمر ولا للعظماء المسكر، لئلا يشربوا أو ينسوا الفروض ويغيروا أحكامهم) (سفر الأمثال 31:4) فالملوك إذا شربوا أكثر وسكروا قد ينسوا فروضهم وأحكامهم وعدلهم[91].

2- موقف المسيحية من تعاطي المخدرات:

ورد ذكر الخمر في أكثر من موضع في الكتاب المقدس، وكان الخمر يصنع من العنب وكان عصير العنب يستعمل بطرق مختلفة كشراب فاكهة غير مختمرة، أو كخمرة بعد التخمير، أو كخل بعد زيادة التخمير. وكان الخمر المصنوع من العنب يستعمل لأغراض مختلفة أيضا وفي مناسبات مختلفة. فكان يستعمل مثلا لتطهير الجروح كما كان يقدم كشراب في الحفلات والولائم والأفراح. وكان يستعمل أيضا في الهياكل لأغراض دينية، كما كان يوصف قليل منه كدواء، كما ورد على لسان بولس الرسول عندما قال لتلميذه تيماتاوس (استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة) أتيماثوس 5 : 23) وإن الكتاب المقدس لم يحرم الخمر تحريما قاطعا، كما أنه لم يحرم الطعام والشراب على أنواعه لأسباب دينية تحول دخول الإنسان ملكوت الله فقال يسوع في هذا الصدد (ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج من الفم ينجس الإنسان (متى 15 : 11) [92].

وترفض المسيحية الإدمان وتعتبره كأن خطيئة تتسلل إليه كما لو كانت أمرا صغيراً ثم تصبح قيداً شديداً لا يمكن التخلص منه. ويحذر الكتاب المقدس بقولة: ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطيئة والخطيئة إذا كملت تنتج موتاً (يعقوب 15/14:1).

وأخطر ما في الأمر أنه عندما يتم عرضها لأول مرة تكون واعده بالحرية ولكن مدمنها يسير أسيراً لها في عبودية. (واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيدا للفساد لأن ما انغلب منه احد فهو مستعبداً أيضاً (ابط 9:2).

والكتاب المقدس يمنع الإنسان من الاقتراب من هذا اللهب الحارق للنفس والجسد ولأن في هذا الاقتراب خسارة الدنيا والآخرة[93].

ويوضح الكتاب المقدس أن الذين يدمنون المسكرات ضمن الفئات التي لا تدخل الجنة وتفقد الحياة فيقول: (لا تضلوا، لازناه ولا عبده أوثان ولا مضاجعون ذكوراً ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا مدمنون ولا شتامون ولا خاطئون يرثون ملكوت الله) (رسالة بولس الرسول إلي أهل كورنثوس 10:6) (لاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح) (رسالة بولس الرسول إلي أهل أفسيس 18:5)

وقد ورد في العهد الجديد من الكتاب المقدس ما يلي:

إن كان أحد سكيرا لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا (أكورنثوس 5 : 11).

ويقول أيضا (وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى، دعارة ، قتل، سكر إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله (علاطيه 5 : 19 – 21).

كما أن الكتاب المقدس ينهى عن السكر فيقول (ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح) (أفس 5 : 18).

وبهذا يشدد الكتاب المقدس على عدم السكر بالخمر، وبناء عليه فإن الدين المسيحي ينهى عن السكر بالخمر الذي فيه الخلاعة، مع العلم أن البعض يجيز شرب القليل منه ولاسيما في المناسبات الاجتماعية، مع التحفظ والانتباه إلى عدم السكر به.

كما يذكر الكتاب المقدس أن الشماسة يجب ألا يكونوا مولعين بالخمر الكثير بقوله (كذلك يجب أن يكون الشماسة ذوي وقار غير مولعين بالخمر الكثير ولا طماعين بالربح القبيح (أثيماثاوس 3 : 8) .

ويفيد الكتاب المقدس أنه يجب على الأسقف ألا يكون من مدمني الخمر بقوله (فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة، صاحيا عاملا محتشما مضيفا للغرباء صالحا للتعليم غير مدمن الخمر.. الخ (اثيماثاوس 3 : 2 – 3)[94].

كما يحذر الدين المسيحي من التعلق بشرب الخمر أو الشرب منه بكثرة لأن عواقبه وخيمة. كما أن الكتاب المقدس يحذرنا من كل شيء يمكن أن يؤذي أجسادنا لأنها هياكل للروح القدس حسب قول الكتاب المقدس (أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس (6 – 19).

هل قال السيد المسيح (قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان) في الواقع أن هذا القول لم يرد على لسان السيد المسيح مطلقا، كما أنه غير وارد إطلاقا في الكتاب المقدس، وأغلب الظن أن الناس رددوا هذا القول على أساس أنه موجود في الكتاب المقدس، ونسبوه إلى المسيح لكي يبرروا شربهم للخمر. وقد تناقله البعض دون فحص أو تدقيق ناسبينه خطأ إلي المسيح. مع العلم أن المسيح لم يتفوه بمثل هذه العبارة مطلقا. وهذا يدل طبعا على عدم معرفة الكثيرين لما يعلمه الكتاب المقدس أو ما ورد على لسان السيد المسيح.

ومن الواضح أن هذا القول (قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان) هو قول مركب من آيتين أخذ قسم من كل آية خارج قرينتة، فخرج بعد تحويره كآية مزيفة من صنع البشر فبالنسبة للقسم الأول (خمر يفرح قلب الإنسان) عندما كان داود النبي يسبح الله الخالق، عظيم الجلال، الباسط السموات ومؤسس الأرض، جاء من ضمن تسابيحه في المزمور 104 ما يلي: (باركي يا نفسي الرب. اللابس النور كثوب، الباسط السموات، المنبث عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان، فإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الإنسان) (مزمور 104 : 2 و 14 و 15) فداود هنا يسبح الله ويشكره لأنه خلق كل شيء ومن ضمنها وردت عبارة (خمر يفرح قلب الإنسان).

أما القسم الثاني من القول المذكور آنفا فيعتقد أنه مقتبس من نصائح بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس بأن يتناول قليلا من الخمر لأجل معدته وأسقامه الكثيرة، أي أن يستعمل الخمر كدواء فقد ورد في قوله له (استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة (اثيماثاوس 5 : 23).

لقد أخذ جزء من الآية خارجا عن قرينته وحور قليلا فجاء (قليل من الخمر بدلا من استعمل خمرا قليلا. أما القسم الثاني فقد اقتبس أيضا خارج قرينتة وهو (يفرح قلب الإنسان) فجاءت آية مزورة ومحورة تقال خطأ على لسان السيد المسيح (قليل من

الخمر يفرح قلب الإنسان) مع العلم أن هذا القول ليس آية ولا قولا للسيد المسيح، وليس موجودا أصلا في الكتاب المقدس، بل يستعمله البعض عن جهل أو عدم معرفة لتبرير غايتهم بشرب الخمر[95].

فقد نهى الرب علي لسان بولس الرسول في رسالته إلي أهل أفسيس (لاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح) (اصحاح 18:5)ونهي الرب عن السكر بالخمر يتبعه وصيه إيجابية للامتلاء بروح قدسه، والواقع أن الإنسان الذي ذاق حلاوة المسيح وسكر بخمر محبته وامتلأ بروح قدسه لا يفكر في تعاطي الخمر بكل أنواعها ودرجاتها مهما كانت لذتها). هذا ما يوضحه الكتاب المقدس (النفس الشبعانة تدهس العسل) (سفر الأمثال 27:7) فالمؤمن الذي قبل المسيح في قلبه لا يحتاج إلي نشوه الخمر لأن الله يملأ قلبه بالفرح الحقيقى.

ويقول البعض أن المسيحية تبيح الخمر ويحاولون إثبات ذلك (بأن المسبح حول الماء إلي خمر في عرس قانا الجليل). ولكن من يقرأ هذه المعجزة في الكتاب المقدس يدرك أن هذه الخمر التي حولت من الماء (قد إفاقت السكاري) (إنجيل يوحنا 9:2 و10) إذا نقرأ (لما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا حينئذ الدون. أما أنت فقد بقيت الخمر الجيد إلي الأبد) [96].

والملاحظ أن الذي يشرب الخمر تنحدر مناطق الحس في فمه، فبعد قدر معين من الخمر لا يحس بطعم الخمر، ولكن رئيس المتكأ عندما ذاق الماء المتحول إلي خمر فاق من سكرة وميز طعم الخمر الجيده فكأنه استرد حاسة التذوق. وهكذا عتب العريس قائلاً (كل إنسان إنما يضع الخمر الجيده أولاً، ومتي سكروا حينئذ الدون. أما أنت فقد بقيت الخمر الجيده إلي الأبد. إذن فهي خمر غير عاديه لا تسكر بل علي العكس تفيق.

كما أن الماء المتحول إلي خمر إنما يرمز للامتلاء بالروح القدس: حيث يقول بولس الرسول في رسالته إلي أهل أفسيس (اصحاح 18:5) (لاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح). فقد ربط الرسول بين الخمر والامتلاء بالروح القدس، الذي يعطي مفاعيل اسمي مما تعطي الخمر العادية حيث يفيق السكارى من مشروبات العالم الغاشة وينعش حياتهم ليشعروا بنعمة الله[97].

3- موقف الإسلام من تعاطي المخدرات

ينبع الرأي الديني في رفض الإدمان ومحاربته من منبع أصيل وهو ذلك التعارض الصارخ والتناقض الكامل بين الإدمان وجوهر الوجود الإنساني كما رسمته شرائع الله، ففي الإسلام يقوم الوجود الإنساني في الكون علي عقيدة ثابتة هي أن الإنسان هو خليفة الله علي الأرض، استخلفه عليها لبنائها ولعمارتها، وهو استخلاف لا سبيل للقيام بأعبائه إلا بالعقل، فالعقل هو أداه الإنسان في استقبال تكاليف الله وفهمها وإعمال موجباتها وأداء دوره في البناء وعماره الكون[98].

ومن هنا كل خراب أو تخريب، وكل مساس بالعقل وتغييب له، وكل إهدار لسلامه الإنسان أو ما فيه خطر علي صحته هو نقض لشرع الله ونقيض، يدفع الإنسان

إلي نبذه ولفظه، لأنه يجعل وجوده حراماً، لأنه يصبح وجوداً متنافياً للسبب الحقيقي لوجوده، القائم علي عمارة الكون بواسطة عقلة السليم الحكيم متلقي التكليف الإلهي وموجبات هذا التكليف ويقول الحق تبارك وتعالي في كتابة العزيز في شأن الخمر وهي أحدي مذهبات العقل: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ } [المائدة:90-91].

وقال تعالى: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } [البقرة: 195].

وقال تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء: 29]. .

وقال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا } [البقرة: 219].

وقول الرسول ﷺ : (ما أسكر كثيره قليله حرام).

وما روته أم سلمة عن النبي ﷺ : (أنه نهى عن كل مسكر ومفتر).

وقول الرسول ﷺ : (إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمول إليه وساقيه ومستقيها) [99].

موقف الإسلام من الخمر والمسكرات صريح ومعروف، وقد جاء منع الخمر في القرآن الكريم بصورة تدريجية شكلت اتجاهات ومسلك المسلمين نحو الخمر والميسر بصورة تدريجية، ففي البداية ما كان في الإسلام منع بل إشارة تلفت النظر إلى ثمرات النخيل والأعناب دونما ذم أو مدح كما جاء في سورة النحل آية (66) من قوله تعالى: { وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا } ثم نجد في سورة البقرة آية 218 قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا } فالواضح هنا دعم سلبي جزئي للمسلك المطلوب وهو تجنب الخمر والميسر عندما ربطهما الوحي الإلهي بالإثم الكبير وهو تنفير شديد، أما كلمة منافع فهي ترغيب ضعيف.

ثم نأتي إلى سورة النساء آية 42 وهي قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }.

وهنا فرض على المسلم أن يبتعد عن الخمر قبل الصلاة وأصبح المسلم يخضع لبرنامج دعم خاص يقوي السلوك المرغوب فيه أي تجنب الخمر في أوقات معينة.

وأخيرا جاء منع الخمر والميسر في سورة المائدة آية (89) من قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } فالتحريم جاء بصورة تدريجية جنبت المسلمين آثار الامتناع الفجائي المزعجة والخطيرة[100].

والحديث الشريف يؤكد ما جاء في القرآن الكريم: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (كل مسكر خمر وكل خمر حرام).

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلا قدم من جيشان (في اليمن) فسأل رسول الله ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر، فقال النبي ﷺ (أومسكر هو) قال: نعم، قال رسول الله ﷺ : (كل مسكر حرام، إن على الله عهدا، لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال) قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: (عرق أهل النار. أو عصارة أهل النار) .

ولم نجد نصاً من نصوص الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنه للفظ المخدرات، وذلك يرجع لعدم معرفتها وقت التشريع، ولذلك فإن فقهاء المسلمين قد اصدروا فتاوي بشأن المخدرات ومن أراء فقهاء الأسلام قال أحد فقهاء الحنفية(إن من قال بحل الحشيش فهو زنديق مبتدع).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (أن الحشيشه حرام يحد تناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر) يقول ابن تيمية(إن الحشيشة تورث من مهامه أكلها ودناءه نفسه وانفتاح شهواته مالا يورثه الخمر ففيه من المفاسد ما ليس في الخمر كما أن ضرر اكل الحشيش علي نفسة أشد من ضرر الخمر، وضرر شارب الخمر علي الناس أشد إلا انه في هذه الأزمان لكثرة أكل الحشيش صار الضرر الذي منها علي الناس أعظم من الخمر وإنما حرم الله المحارم لأنها تضر أصحابها) [101].

ويقول ابن القيم (إن الخمر يدخل فيها كل مسكر دافعاً للفسوق والفجور ويعني بها الحشيشة) لان هذا كله خمر بنص الرسول (كل مسكر حرام).

وقال الإمام الذهبي في الكبائر (والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتي تصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من أنها تفضي إلي المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاه وهي نجسه كالخمر وبكل الأحوال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعني وأيضاً قوله(ما أسكر كثيره فقليلة حرام).

ويقول ابن رشد عن ذلك: أنه قد وجب أن كل ما وجدت فيه علي الخمر يليق بالخمر (فيحرم) أكل البانجو والحشيش والأفيون، وذلك كله حرام لأنه يفسد العقل حتى يصير الرجل صاحب خلاعة وفساد وبعيداً عن ذكر الله والصلاة[102].

وكذلك تحريم القات أن التعيين فيها المنع من زراعتها وتوريدها واستعمالها لما اشتملت عليه من المفاسد والمضار في العقول والأبدان ولما فيها من أضاعة المال وافتنان الناس بها، ولما اشتملت عليه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاه فهي شر وسيلة لعده شرور، والوسائل لها أحكام الغايات. وقد ثبت ضررها وتخديرها بل وإسكارها، والالتفات لقول من نفي ذلك فإن المثبت مقدم علي النافي قاعدتان من قواعد الشريعة الأصولية تؤيدان القول بتحريمها وقياسها علي الحشيشة المحرمة لاجتماعها في كثير من الصفات وليس بينهما تفريق عند أهل التحقيق.

وهذا القات لو فرضنا فيه النفع فإن فيه من المضار والمفاسد المتحققة تربو وتزيد علي ما فيه من النفع أضعافاً، ولهذا جزم بتحريمه جملة من العلماء الذين عرفوا خواصه واستدل كل منهم علي تحريمة بما ظهر له فمن جملة من نهي عنه وحذر منه

وافتي بمنعه الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي وقاسه علي الحشيشة وجوزه الطيب وعد استعمال ذلك من كبائر الذنوب، كما ذكره في الكبيرة السبعين بعد المائة في كتابه (الزواجر عند اقتراف الكبائر).

فالقات من الخبائث لعده أسباب منها أنه ضار بالبدن وينشأ عنه إمراض خطيرة ومتنوعه، وأنه مخدر ومضيع للوقت في غير فائدة ويفوت أكلة بعض الصلوات كما أن الإنفاق في شرائه من إضاعة المال ومن التبذير الذي حرم الله تعالى لأنه في غير وجه مشروع[103].

- تحريم الاتجار بالمواد المخدرة:

ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في تحريم بيع الخمر، منها ما روي عن البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام) وورد عنه أيضا أحاديث كثيرة مؤداها: (إن ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه وأكل ثمنه). وقد علم من الجواب عن السؤال الأول أن اسم الخمر يتناول هذه المخدرات شرعا فيكون النهي عن بيع الخمر متناولا لتحريم بيع هذه المخدرات. ويتبين حرمة الاتجار في هذه المخدرات واتخاذها حرفة تدر الربح.

- تحريم زراعة المخدرات بقصد البيع أو استخراج المادة المخدرة منها للتعاطي أو التجارة:

ورد في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: (إن من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد تفحم في النار).

فإن هذا يدل على حرمة زراعة الحشيش والأفيون للغرض المذكور. كما أن ذلك إعانة على المعصية وهي تعاطي هذه المخدرات أو الاتجار فيها.

- الربح الناتج عن بيع المخدرات (حرام خبيث):

ربح حرام لقوله تعالى: { وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ } [البقرة: 188] أي لا يأخذ ولا يتناول بعضكم مال بعض بالباطل وأخذ المال بالباطل على وجهتين:

- الأول: أخذه على وجه الظلم والسرقة والخيانة والغصب وما هو مجرى ذلك.
- الثاني: أخذه من جهة محظورة كأخذه من القمار أو بطريقة العقود المحرمة في الربا وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالخمر المتناولة للمخدرات.

فهناك تحريم ثمن ما حرم الانتفاع به كقوله ﷺ : (إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه) رواه ابن أبي شيبه عن ابن عباس.

وكذلك تحريم التصدق بالأموال الناتجة عن التعامل في المواد المخدرة، في حديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره وإلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، وأن الخبيث لا يمحو الخبيث).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له أجره وكان إثمه عليه).

وقوله ﷺ : (من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعا ثم قذف في نار جهنم) [104].

- تعاطي المخدرات للعلاج:

قال تعالى: { فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة: 173].

وقال تعالى: { فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنعام: 145].

وقال تعالى: { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ } [الأنعام: 119].

وقد استنبط الفقهاء من هذه الآيات إباحة المحرم للضرورة مقصورة على القدر الذي يزول به الضرر وتعود به الصحة ويتم به العلاج .

ولكن هذا الاستنباط يدحضه مجموعة من الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ وهي:

1 - ما رواه وائل بن حجر (أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال ﷺ : إنه ليس بدواء ولكنه داء) رواه الإمام أحمد ومسلم.

2 - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى أنزل الدواء وأنزل الداء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام) رواه أبو داود.

3 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث). وفي لفظ: (يعني: السم) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

4 - ذكر البخاري في صحيحه، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)، وقد رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه مرفوعا إلى النبي ﷺ .

فهذه النصوص وأمثالها صريحة في النهي عن التداوي بالخبائث، مصرحة بتحريم التداوي بالخمر، إذ هي أم الخبائث وجماع الإثم، ومن أباح التداوي بالخمر من علماء الكوفة فقد قاسه على إباحة أكل الميتة والدم للمضطر، وهو مع معارضته للنص ضعيف؛ لأنه قياس مع الفارق، إذ أكل الميتة والدم تزول به الضرورة، ويحفظ الرمق، وقد تعين طريقا لذلك، أما شرب الخمر للتداوي فلا يتعين إزالة المرض به، بل أخبر ﷺ بأنه داء وليس بدواء، ولم يتعين طريقا للعلاج.

- التواجد في مكان معد للتعاطي:

قال تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } [المؤمنون: 3].

وقال تعالى: { وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ } [القصص: 55].

وحديث عن رسول الله ﷺ : (استماع الملاهي معصية والجلوس فيها فسق).

روى أبو داود عن ابن عمر قوله: (نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر).

يحرم مجالسة مقترفي المعاصي أيا كان نوعها لأن في مجالستهم إهدارا لحرمات الله، ولأن من يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السيئة ويعتاد ما يفعلون من مأثم كشرب المسكرات والمخدرات.

حديث الرسول ﷺ : (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يجذبك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة).

فالجليس الصالح يهديك ويرشدك ويدلك على الخير وترى منه المحامد والمحاسن وكله منافع وثمرات، أما الجليس الشرير يضر ويؤذي ويعدي بالأخلاق الرديئة ويجلس السيرة المذمومة وهو باعث الفساد والضلال ومحرك كل فتنة وموقد نار العداوة والخصام.

- عدم التستر علي المتعاطين ومروجي المخدرات

الحديث النبوي الشريف عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

وهذه دعوة إلى مكافحة المخدرات ومنها هذه السموم، إبلاغ السلطات بأوكار تجارها ومتعاطيها والإرشاد عن مرتكبي هذه المنكرات ومروجي المخدرات[105].

وعلى الرغم من تحريم الدين للمخدرات إلا أن اعتقاد الأفراد في ذلك التحريم يتوقف على عدة عوامل اجتماعية وثقافية أخرى. ومع أن الدين الإسلامي قد حسم الموقف إزاء تعاطي الخمور، إذ أن المنع والتحريم جاء قاطعاً، إلا أنه بالنسبة للمخدرات يسود اعتقاد لا يمكن إغفاله وهو أن تعاطي المخدرات لا يتعارض مع الدين وإن الحكم الديني على سلوك التعاطي لا يرقى إلى التحريم كما هو بالنسبة للخمر، وهو أنه تعارض فلا يعد وإن يكون مكروهاً، وترتب على ذلك إنه بالرغم من إباحة شرب الخمر فإن الشكوى منها والاهتمام بآثارها الضارة لم يرقى إلى مستوى الشكوى من مشاكل تعاطي المخدرات التي يحرمها القانون، ومن ثم فنحن إزاء مواقف متناقضة لعب الدين وليس القانون الوضعي دوراً هاماً إلى حد كبير.

وفي دراسة سعد المغربي وجد أن الغالبية العظمى من متعاطي الحشيش يعتقدون أنه غير محرم أو مكروه دينياً وكان من شأن هذا الاعتقاد الديني أن يشجع على التعاطي ويزيد من المتعاطين حتى بين الطبقات والطوائف التي يفترض أنا أكثر التصاقاً بالدين ويصبح ذلك مبرراً وذريعة لتعاطي المخدرات اعتماداً على أن الدين لم ينص صراحة على تحريم المخدرات[106].

وفي دراسة أخرى أوضح سويف أن 12% من متعاطي الحشيش يقولون أن تعاطيه محرم دينياً في حين ذكر 61% منهم أنه مكروه وقرر 56% منهم أن تعاطي الحشيش غير محرم ولا مكروه، وصرحت الغالبية من الذين يعتقدون أن الحشيش مكروه أو أنه ليس محرماً ولا مكروهاً. أن هذا الاعتقاد كان من بين العوامل التي شجعتهم على اكتساب عادة التعاطي وأوضحت الدراسة أن المتعاطين للحشيش يميلون

إلى عدم ملاحظة وجود صراع داخلي بين اعتقادهم لتناول المخدرات وبين إيمانهم بالدين[107].

تاسعاً - ثقافة الجنس وتعاطي المخدرات:

يشيع أن للمخدرات أثر في تنشيط قوى الفرد الجنسية وإطالة مدة العملية الجنسية وقد اتفقت كثير من الدراسات على أن المخدرات وخاصة المهبطة منها ليس لها علاقة بالجنس بل تعمل بعكس ما هو شائع عنها إلى خفض الدافع الجنسي والرغبة الجنسية والقدرة الحيوية. ويبحث متعاطي المخدرات عن اللذة الجنسية والإثارة والإطالة في فترة الجماع، ولذلك يكثر التعاطي في الأيام الأولى من الزواج حيث يصفه بعض المتعاطين لأصدقائهم كعلاج لسرعة القذف، وربما يفسر ذلك كثرة تناوله في أيام الزواج الأولى التي قد يتعرض فيها بعض الأزواج لهذه المشكلة التي كثيرا ما تحل من نفسها بعد زوال الشعور بحداثة الزواج، وبالمران واكتساب الخبرة التي تزيد الثقة بالنفس[108].

وقد تزداد الرغبة الجنسية لمدة بسيطة في بداية تأثير بعض المخدرات على المخ ولكن باستمرار تعاطي المخدرات فإن الشخص يدخل في دائرة الإدمان ويفقد اهتمامه بالجنس ويتجه كلية للبحث عن المخدر كما أن متعاطي المخدر يفقد عنصر الزمن ومن هنا يكون الوهم بأنه يطيل فترة الجماع واللذة الجنسية حيث يخيل لهم أن الوقت يمر بطيئا أثناء ذلك.

وهناك بعض المخدرات التي تحدث تقليل في الرغبة الجنسية في حالة إدمانها كالأفيون الذي يؤدي إلى النقص في الطاقة الجنسية وانخفاض معدل الاتصال.

وقد ذهبت بعض الدراسات إلى أن إدمان المخدرات يؤدي إلى حالة من الضعف الجنسي ويشير كوبرا وكوبرا Copera and Copera أن استعمال الحشيش للأغراض الجنسية في الهند هو أحد الأسباب والدوافع الشائعة للتعاطي وانتهى الباحثان أن الإسراف في تعاطي الحشيش يؤدي إلى انهباط وظائفهم الجنسية. وقررا هذه النتيجة مما وجداه من أن نسبة الإخصاب عند مدمني الحشيش أقل منها عند غير المدمنين وإن كانت أعلى منها عند مدمني الأفيون. كما أن نسبة العقم لدى المدمنين المسرفين في التعاطي أكثر منها لدى غير المتعاطين[109].

وقد أوضح بوكيه Pouquet رأيه فيما يتعلق بأثر المخدر على الناحية الجنسية بأن التهيج الشبقي Erotic Excitation الذي يحدث خلال فترة التخدير لا يعدو أن يكون تهيجا دفاعيا Cereberal Excitation ولا تحدث أي تغييرات فسيولوجية أخرى، وعلى ذلك فإن تعاطي المخدر المزمن يؤدي في النهاية إلى حالة من الضعف والهزال العام نتيجة لضعف شهية المتعاطي التي قد تصل إلى حد عدم تناول الطعام طوال اليوم، وهذه الحالة من شأنها أن تؤدي إلى فقدان الرغبة الجنسية ثم إلى الضعف الجنسي وقد تنتهي هذه الحالة إلى الانحراف الجنسي.

وقد وجد بورهل Bourhill في بحثه أن الحشيش مع التعاطي المزمن أدى إلى انهباط الرغبة الجنسية والوصول بالمتعاطي إلى حالة من العنة الجزئية أو الكلية.

وقد أقام بورهل نتائجه على الآتي:

- أنه لم يجد بين قضايا المذنبين في جرائم جنسية مذنبا واحدا أثبتت أنه كان متعاطيا لأي مخدر قبل قيامه بارتكاب جريمة الاعتداء الجنسي.
- وجود سلبية جنسية قاطعة على عينة بحثه.
- أنكر معظم المدمنين أن المخدر يعمل على الإثارة الجنسية بأي شكل من الأشكال.
- ذكر معظم الحالات أنهم بعد تعاطي المخدر يصبحون عاجزين عن أداء العملية الجنسية(110).

كما أورد فوجل Vogel نفس النتائج:

- أن التأثير الأساسي للمخدر هو تأثير انهباطي Depressant effect وإن اختلفت درجة الانهباط تبعا لكمية المخدر ودرجة الإدمان وشخصية المتعاطي.
- أن حالة السرور والراحة Euphoria التي يشعر بها المتعاطي وقت التخدير والتي يرغب في المحافظة عليها بالإضافة إلى حالة الانهباط التي يحدثها المخدر هذه الحالة تعمل على كف Inhibits أي صورة من صور النشاط الجنسي.
- أن مدمني المخدرات المسكنة أو المهبطة عادة ينسحبون بعيدا عن الواقع ويعيشون داخل أنفسهم وتدريجيا يبتعدون عن أي نشاط طبيعي ليس مرتبطا بتحقيق حاجاتهم في الحصول على المخدرات.
- إن هذه المخدرات من شأنها خفض واستبعاد الرغبة الجنسية.

وقد أوضح لاسكوترز Leskowitz في بحثه أن المدمنين تكون اتصالاتهم الجنسية مضطربة، وقد أيده في ذلك جنزبرج حيث وجد أن المدمنين لديهم انحرافات جنسية خطيرة وقد أوضح كاينت Kinght في بحثه أن مدمني المخدرات معظمهم يعانون الضعف الجنسي وقد أرجع هذا الضعف إلى تعاطي المخدرات.

وقد ذكر تاين الماهي Tighan Elmahy أن إدمان المخدرات يؤدي إلى الضعف الجنسي وأن ما يذكره المدمنين أن المخدر يزيد من القدرة الجنسية أو الفاعلية، ما هي من وجهة نظر الباحث إلا نتيجة لاضطراب الإدراك الزمني لدى المدمن فيجعله يتخيل أنه استمر في هذه العملية لمدة طويلة وما هي إلا دقائق أو ثوان معدودة. وما هذا الإحساس إلا وهم تجمله اضطرابات الحس(111).

وقد لخص سبيرو فاخوري أهم الآثار الجنسية التي تنتج عن تعاطي الخمور والمخدرات فيما يلي:

- تقوم المخدرات بتعطيل الإرادة والوعي وإطلاق العنان للعاطفة الجنسية بما ينتج عنه بعض الانحرافات الجنسية كالاغتصاب والاعتداء على الأحداث والاتصال بالمومسات.
- احتمال انتشار الأمراض الجنسية بشكل أكبر بين أوساط المدمنين على المخدرات.
- كثيرا ما تكون المخدرات هي السبب المباشر أو غير المباشر للحمل السفاح.
- تساعد المخدرات على ظهور الرغبات الجنسية الكامنة في الشخص كالشذوذ الجنسي بمختلف صوره ومضاعفاته.

- لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن الإفراط في تعاطي الكحول يؤدي إلى العجز الجنسي وذلك للاضطرابات العصبية التي يسببها الخمر في نهايات الأعصاب التي تغذي الأعضاء التناسلية[112].

وقد ذكر أحمد عكاشة أن الانتظام في استخدام المخدرات ينقص هرمون الذكورة بنسبة 30% مما يؤدي إلى إصابة المدمن بالضعف الجنسي فالمخدرات تؤدي إلى انخفاض هرمون الذكورة، ومع ذلك يعتقد المدمن خطأ أن لديه أداء أفضل وأن أعصابه أهدأ للاستمتاع بالجنس إلا أن ذلك قد يحدث في بادئ الأمر، ولكن مع الاستمرار في الاستخدام يضعف الأداء الجنسي[113].

وقد أجريت دراسة في جامعة كونكورديا الكندية عام 2010 حول تأثير إدمان المخدرات والكحوليات على الأداء الجنسي وقد أكدت نتائج الدراسة أن هذا الأثر قصير المدى للعادية، ويصاب المتعاطي لأي نوع من أنواع المخدرات بمشكلات جنسية على رأسها ضعف الانتصاب وصعوبات وسرعة القذف لدى الرجال وجفاف المهبل والعزوف عن ممارسة الجنس لدى النساء.

ولا يقتصر هذا الأثر السلبي على المخدرات من العيار الثقيل مثل الكوكايين أو الهيروين أو خليطها المعروف باسم السبيد speed، ولكنه تمتد لتشمل الأنواع الأقل وطأة والأكثر تداولاً مثل الحشيش والبانجو والماريجوانا.

كما أشارت دراسة أجريت بجامعة غرناطة الأسبانية ونشرت نتائجها في النشرة الدورية التي تصدرها الجمعية الدولية للطب الجنسي في يناير 2013 وجدت هذه الدراسة التي أجريت على عينة من 905 رجلاً كان 549 يتعاطون أو تعاطوا المخدرات في وقت سابق، أنه بمرور الوقت:

1 - سببت الماريجوانا والمخدرات نباتية المصدر بوجه عام مثل (الحشيش والبانجو) ضعفاً في الانتصاب مع مرور الوقت.
2 - سبب الهيروين والكوكايين والسبيد ضعفاً ملحوظاً في درجة الشعور بالنشوة (الاورجازم) في نهاية العملية الجنسية.
3 - أثر تعاطي الكوكايين والسبيد سلباً على المتعة الجنسية وكذلك على الرغبة في ممارسة الجنس.
4 - تميز الأداء الجنسي لمن يتعاطون أو كانوا يتعاطون المخدرات بالضعف الملحوظ مقارنة بمن لم يتعاطوها مطلقاً[114].

وأكدت دراسة أوربية شملت 1341 شخصاً في 9 دول أوربية ونشرت في مجلة بي أم سي للصحة العامة أن ثلث الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 16 – 35 سنه و 23% من النساء في الفئة العمرية نفسها يتناولون الخمر من أجل زيادة قدرتهم في ممارسة الجنس.

وأكدت دراسة دنماركية جديدة أجريت على 5552 رجلاً وامرأة ونشرت بالمجلة الدولية للصحة الجنسية عن تأثير المخدرات والحياة غير الصحية على القدرة الجنسية، أن اجتماع استخدام المخدرات والتدخين والكحوليات وعدم ممارسة الرياضة تزيد فرص الضعف الجنسي بدرجة تصل إلى 22 ضعفاً، والمشكلة أن المدمن يعتقد

خطأ في البداية أن المخدرات والكحوليات تزيد من القدرة الجنسية وتقلل من التوتر لكن الحقيقة هي أن الإدمان يسبب الضعف الجنسي، إذ تؤدي المواد المخدرة إلى خفض هرمون الذكورة بالجسم وتسبب تقلص ثم تصلب شرايين العضو الذكري فلا تصل كمية كافية من الدم لحدوث الانتصاب واستمراره(115).

وعلاقة الجنس بالحشيش ترجع إلى الموروثات الشعبية والخرافات منذ العصور الرومانية والإغريقية القديمة وإلى الثقافات الهندية والصينية ثم انتشرت هذه الموروثات في المجتمعات الأخرى، وأصبح الحشيش يتمتع بسمعة واسعة الانتشار خاصة بين الرجال بأنه يسبب قوة جنسية كبيرة وخاصة في ليلة الزفاف والليالي الأولى من الزواج وسر هذه الخرافة القائلة أن الحشيش يزيد من القدرة الجنسية يكمن في كون متعاطيه في حالة مزاجية مرتفعة دائماً، مقبلاً على الحياة بحماس فيتخيل المتعاطي أنه اكتسب قدرة جنسية عالية.

والحشيش لا يزيد من القدرة الجنسية ولكن حوالي ثلث الذين يتعاطونه يقولون أن اللذة الجنسية تزداد معه، وأن اللمسات الجنسية يكون لها طعم آخر غير الطعم العادي، وكما هو معروف فإن من يتعاطى الحشيش يفقد عنصر الزمن فهو عندما يمارس الجنس فإنه يمكث مع زوجته دقائق فقط،ولكنه يخيل إليه إنه مكث معها ساعات، ولذلك اشتهر الحشيش بأنه علاج لسرعة القذف ولكن هذا وهم، بالإضافة إلى أن الحشيش يجعل الإنسان في حالة انعدام وزن، مما يؤدي إلى الشعور اللاحقيقي عند ممارسة الجنس فكل ما يحدث مجرد تخيلات وأوهام ومع تقدم الزمن فإن نسبة كبيرة ممن يتعاطون الحشيش يعانون من فقد اهتمامهم بالجنس(116).

فالحشيش يضخم الإحساس بالتأثيرات الخارجية حتى النكتة التي لا تستحق حتى الابتسام تجعل الحشاش يستلقى على قفاه من الضحك إنه يطرب للموسيقى سواء كمطرب أو كمستمع أفضل، إنه أكثر بهجة بالألوان والمناظر الطبيعية والأهم أن اللمس لديه أكثر حساسية وهذه أيضاً نضعها في خانة الارتباط بين الحشيش والجنس. أما إحساس الزمان والمكان فيتعرضان للتشوه الشديد على يد الحشيش فتصبح الدقيقة ساعة وحجرة المساكن الشعبية قصراً من قصور ألف ليلة وليلة. وهذا الإحساس الزمني المشوه بالذات هو نقطة من النقاط الأساسية التي تروج للحشيش في دنيا الجنس خاصة عند اللذين يعانون من سرعة القذف أو من البرود الجنسي للزوجات ولكنه في الواقع ما هو إلا وهم.

والتأثيرات النفسية التي تربط الحشيش بالجنس هي ذوبان كل الكوابح والفرامل التي تقيد وتكتف شخصية المتعاطي في ظروفه الطبيعية، ويقول الطبيب النفسي الأمريكي لكابلان وسادوك أن هذه الذوبان أو التحرر يحدث على مستوى التعبير بالكلام فضلاً عن التعبير بالتصرفات ولكنه بالنسبة للتصرفات السلوكية ينفي أن يفعل الحشاش عموماً أي تصرفات إجرامية إلا إذا كانت طبيعة شخصيته تميل إلى الإجرام. أما بالنسبة للجنس فالحشيش هذا يذيب الوقار المصطنع ويشجع المتعاطي على إتيان أشياء أثناء الممارسة تجلب له اللذة كان من المستحيل أن يفكر فيها في الحالة الطبيعية.

وقد جرب كثير من العلماء تحت تأثير الفضول العلمي للحشيش بكافة أنواعه ووسائل تناوله ومنهم العالم الفرنسي (باسكال بروتو) والعالم الألماني (شنيدر)، أما تجربة العالم بروتو فيقول أنه بعد تناول الحشيش وجد نفسه وقد أصيب بحالة من الرعشة ويقوم بحركات عجيبة بوجهه وبعينيه وفمه ولكن المهم في الأمر أنه لم يكن في إمكانه الامتناع عن هذا الأداء. أما من ناحية الرغبة الجنسية فقد كان يشعر بأنها غائبة تماماً وأن ملكة الجمال فينوس نفسها لو تجسدت أمامه لما أغرته ولكن رغم هذا الهبوط في الرغبة الجنسية إلا أن شهيته للطعام كانت كبيرة كما أنه أخذته موجه من الهلوسة[117].

وفي دراسة أجراها العالم كولدونى بمعهد جونسون سنة 1973 على خمسمائة رجل تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة عشرة والثلاثين واستمرار تعاطيهم لمدة ست أو سبع سنوات وقد كتب في تقريره النهائي (بازدياد تعاطي الحشيش تتناقص معدلات النشاط الجنسي ويقل تكرار حدوث التهييج).

وقد أرجع ماسترز أن الإحساس بتحسن الأداء الجنسي الذي قد يشعر به المتعاطي إلى ما يمنحه الحشيش من زيادة حساسية اللمس أو الراحة من بعض القيود النفسية التي تكبله في حياته العادية. أما بالنسبة للمرأة فقد ذكر ماسترز وجونسون إلى أن الحشيش يسبب جفافاً مؤقتاً بجدار المهبل والذي يسبب للمرأة في معظم الأحيان ألماً حاداً أثناء الجماع.

أما عن تأثير الحشيش على الخصوبة فقد أثبتت دراسات عديدة أن للحشيش تأثير على عدد وحركات وشكل الحيوانات المنوية مما يؤثر على خصوبة الرجل ولكن معظم هذه الدراسات أثبتت أن هذه التأثيرات قابلة للعودة لمعدلاتها الطبيعية بعد الامتناع عن الحشيش ومن أهم هذه الدراسات الدراسة التي أجراها دريلي همبري بجامعة كولومبيا في منتصف السبعينات على ستة عشر شاباً ممن كانوا يتعاطون الحشيش فقط وقد أقام هؤلاء المتعاطين الشباب في المستشفى لمدة ثلاثة شهور تحت الملاحظة وكان د/همبري يأخذ منهم تحليلاً للسائل المنوي كل أسبوعين وتحليلاً هرمونياً كل أسبوع. وكانت النتيجة كما يلي:

- نقص يقدر بحوالي 40% في عدد الحيوانات المنوية.
- نقص يقدر بحوالي 20% في حركة الحيوانات المنوية.
- زيادات مختلفة في الأشكال المشوهة للحيوانات المنوية.

وقد أثبتت الأبحاث أن الضعف الجنسي يحدث من الإكثار في عدد مرات تناول الحشيش، وذلك بسبب ارتباك الدورة الدموية في الأعضاء الجنسية، والتأثير على التغذية الدموية لخلايا الخصية بنوعيها، مما يترتب عليه انخفاض الهرمون في الدم والتأثير على عدد الحيوانات المنوية، ومن ثم يكون هناك تأثير على الخصوبة[118].

أما متعاطي الأفيون فهو متقلب دائماً، والنشاط الجنسي لديه يتغير مع تقلبات مزاجه ويشعر المريض الذي يتعاطى حقن الأفيون في الوريد بتأثير جنسي غريب ورغبة في القذف، وذلك بصفة دائمة، ويسبب الأفيون تأرجحاً في القدرة الجنسية، ويكون القذف دائماً متأخراً وقد يختفي تماماً (أي لا يكون هناك قذف بالمرة) ومع

استمرار تعاطي هذه المادة فإن القدرة الجنسية تضعف تدريجياً، حتى يصل الشخص إلى العنه الكاملة، وفي هذه الحالة فإن الشخص رجلاً كان أو امرأة يحس بعدم قيمته وفقد علاقته بأفراد المجتمع فيما عدا هؤلاء الذين يساعدونه في الحصول على المخدر، وكثيراً ما تجد أن المرأة التي تدمن الأفيون تفقد قدرتها على التبويض، ومن ثم فإن الحيض لديها يتوقف تماماً، كما تفقد رغبتها الجنسية، وقد تنزلق في طريق الغواية للحصول على النقود التي تشتري بها المخدر، وبعد الامتناع عن تعاطي الأفيون فإن المريض سواء كان رجلاً أو امرأة يشعر بتهييج وحساسية شديدة في الأعضاء التناسلية، ويصاحبه ذلك اشمئزاز وامتعاض عند التفكير في المزاولة الجنسية، وقد يشعر الرجل بانتصاب وقذف دون أن يشعر بأي لذة. وهكذا نرى أن متعاطي هذا المخدر قد يبدأ بشعور جنسي قوي ولذة جنسية، ولكنه مع الإدمان يفقد شخصيته وينهار اجتماعياً، ولا يكون لديه من أمل سوى الحصول على المخدر بأي ثمن حقيقي حتى ولو كان كرامته[119].

وتقول ماري نيسواندر أنه بالرغم من أن ميكانيزم عمل الأفيون على أجهزة الأعصاب غير معروف بالضبط إلا أن الأبحاث العلمية في هذا الصدد تفصح عن خرافة صلة الأفيون ومشتقاته الإيجابية بالناحية الجنسية للإنسان. فالأدلة كافية على أن هذا المخدر يقلل من الشهية أو الرغبة الجنسية وأن صعوبات جنسية تحدث للزوجين عندما يقع أحدهما في الإدمان التي ترجع إلى نقص الاهتمام بالعملية الجنسية حتى بعد أن يكف المدمن عن تعاطي المخدر.

إن تأثير الأفيون بصفة أساسية هو تأثير انهباطي على الجهاز العصبي كله، ومن ثم فلابد أن تتأثر الحيوية الجنسية تبعا لذلك وفي هذا يقول أزيل وهوايت أن تغيرات واضحة تحدث في النشاط الجنسي خلال الإدمان أبرزها النقص في الطاقات الليبيدية وانخفاض معدل الاتصال الجنسي ونقص في إفرازات الغدد الجنسية. وفي النساء يقل أو يكاد يتوقف الطمث ويضعف المبيض ويندر الحمل ويمكن تلخيص هذه الآثار على النحو التالي:

- الاهتمام الجنسي والعملية الجنسية والعلاقة بالمرأة بصفة عامة ضعيفة للغاية.
- الاتصال الجنسي قليل ونادر ومعدوم عند أغلب الحالات.
- إن بعض الحالات ممن تزيد أعمارهم عن الأربعين كثيرا ما يتم تصريفهم للطاقة الجنسية عن طريق الأحلام (الاحتلام).
- إن بعضهم يعاني من عنة جزئية أو كلية.

أي أن النشاط الجنسي يصيبه الانهباط Depressent والخمول والتدهور في حالة تعاطي الأفيون ومشتقاته فعدم الرغبة في الجنس وعدم الاهتمام بممارسته بل والهروب منه ترجع إلى دوافع نفسية وتركيب سيكولوجي معين والمخدر في هذه الحالة يحقق رغبات هذا التركيب النفسي بما له من تأثير انهباطي على النشاط الفسيولوجي العام للكائن فشخصية المدمن التي تعاني السلبية وكبت العدوان وتجنب التعبير على نحو خارجي إيجابي تختار نوع المخدر الذي يشبع ويحقق هذا التركيب السيكولوجي.

وقد أوضح سعد المغربي أن المخدرات تؤدي إلى هبوط في الحيوية والرغبة الجنسية، وقد أورد سعد المغربي بعض العبارات التي رددها المدمنون فيما يتعلق بالجنس وهي على النحو التالي:

- (لا مسألة الحريم والنسوان كانت زمان في أول ما بديت أكل الأفيون. كان الواحد بيغيب شوية لكن دلوقت لا. لكن دلوقت أنا مابفكرش في الموضوع ده. حصل حصل. محصلش محصلش).
- (لما أبقى مسطول. قليل أوي لما أفكر في النسوان والعملية دي).
- (كنت زمان أخذ الأفيون عشان الحريم لكن دلوقتي لأ).
- (كثير لما أنام جنب الجماعة ـ أحس إني مخنوق).
- (أنا بقى لي كثير ماعملتش الجماع ده)[120].

أما المورفين والهيروين مهدئات أقوى من الحشيش، وتؤدي أيضاً إلى انخفاض في هرمون الذكورة وانخفاض الرغبة الجنسية والشعور بالاسترخاء وتؤدي إلى تأخر القذف وانعدام القذف وتنتهي بعجز جنسي.

أما مدمني الكوكايين فيقولون أن الجنس تحت تأثيره يكون أكثر بهجة عن غيره وفي حالات شم الكوكايين يلاحظ أن الشهوة تزيد لدى المرأة والرجل، ويكون هناك شعور بالعظمة، وقد تزداد الرغبة الجنسية لمدة بسيطة في أعلى درجات تأثيره على المخ، ولكن باستمرار تعاطيه فإن الشخص يدخل في دائرة الإدمان، ويشعر فعلاً بأنه مريض، ويفقد اهتمامه بالجنس ويتجه إلى البحث عن المخدر دون سواه[121].

أما الحبوب المنومة إذا استعملت بكميات قليلة فإنها تمنع التأثير المخي المثبط للنشاط الجنسي، ويشعر المريض بانتعاش الجنس والقدرة على الممارسة الجنسية، ولكن الكميات الكبيرة من الحبوب قد تؤدي إلى اختفاء ميكانيكية الجنس بالكامل، ومع الاستعمال المزمن لها فإنها تؤدي إلى العنة الكاملة[122].

أما العقاقير المنبهه عند بدء استعمالها يشعر المتعاطي بزيادة الرغبة الجنسية، وقد يستطيع الشخص الذي يبدأ في استعمالها القيام بممارسات جنسية متتابعة في مدى قصير، وكذلك فإن المرأة التي لم تكن تشعر بالاستمتاع الجنسي فإنها قد تشعر به مع أول استعمال لهذه العقاقير ومع تعاطي هذه العقاقير فإن الرجال يلاحظون قوة في الانتصاب مع صعوبة في القذف، وقد يشعرون بعدم القدرة على القيام بأي عمل جنسي بدون استعمال العقار الذي يستعملونه، ثم تضعف القدرة على الممارسة الجنسية تدريجياً، حتى يصل بهم إلى العنة الكاملة.

ويستخدم البعض الامفيتامينات لكي تزيد الرغبة الجنسية، وهي وإن كانت في بداية استخدامها تزيد من الرغبة الجنسية، إلا أنها مع الاستخدام المستمر تؤدي إلى فقدان الاهتمام بالجنس وإلى الضعف الجنسي، ولكن الحقيقة أن كل هذه الأعراض قابلة للزوال بعد الامتناع عن تناول هذه الأقراص.

أما عقاقير الهلوسة فاستعمالها لا يزيد الرغبة الجنسية، ولكنه يزيد الحساسية الجنسية والقول بأنها من المنشطات قول غير صحيح، وإنما هي تزيد من أحلام اليقظة والتهيؤات غير الصحيحة، ويتصور متعاطيها ما لم يحدث فعلاً من اتصال جنسي أو لذة

جنسية أو شهوة غير حقيقية، ويغرق نفسه دائماً في تصورات وأفكار سريعة ومشوشة. ويختلف تأثير هذه العقاقير باختلاف طبائع متعاطيها، وعموماً فإن الاهتمام الجنسي مع استعمالها يصبح مختلطاً مع كافة المشاعر والأفكار التي يختلط بها ذهن الشخص لتظهر لديه في النهاية صورة مهزوزة غير متكاملة ويضعف الشخص بعد ذلك جنسياً باستمرار تعاطيه لهذه العقاقير[123].

وينتشر في مصر تعاطي وإدمان الترامادول وذلك يرجع إلى أنه يعمل على زيادة النشاط والقدرة الجنسية وإطالة مدته، وكل الرجال لديهم الرغبة في إطالة مدة الجماع. بعض الرجال لديهم سرعة القذف حيث يتم القذف خلال الجماع في مدة تتراوح بين 4 – 7 دقائق على الأكثر بينما النساء يحتجن لفترة أطول تصل إلى 11 دقيقة. ويلجأ الرجال إلى استخدام الترامادول لعلاج سرعة القذف وتأخير القذف، والحقيقة أن عقار الترامادول يمكن أن يطيل فترة الجماع عن طريق التأثير على إعادة مادة السيروثومبين (هرمون السعادة) إلى الموصلات العصبية، إلا أنه مع الاستخدام المستمر للترامادول ولفترات طويلة يؤدي إلى عدم القدرة على الانتصاب والعجز الجنسي.

ويوضح المتخصصون أن الترامادول ومشتقاته هو مسكن قوي لا يعمل على التنشيط بل أنه يسكن الآلام ولذلك فإنه لا يعالج سرعة القذف، وأن علاج سرعة القذف يحتاج أنواعاً من التدريبات الخاصة بعضلات التبول والقذف للحصول على نوع من التحكم الإرادي في عضلات القذف لاكتساب القدرة على تأخير القذف، وأيضاً هناك بعض الأدوية التي تؤثر على مادة السيروثومبين بالمخ لعلاج سرعة القذف، وكذلك توجد أنواع كريمات التخدير الموضعي للتحكم في حساسية العضو الذكري وعلاج سرعة القذف.

ويحذر الخبراء من تعاطي الترامادول لفترة طويلة لأنه يؤثر على هرمون السيروثومبين الذي يفرزه المخ، ومع الاستخدام لفترات طويلة يصاب المتعاطي بنوبات الصرع والتشنج والاكتئاب والقلق والوسواس القهري[124].

عاشراً - الأنومى والاغتراب وتعاطي المخدرات:

لقد طرحت نظرية الأنومي تفسيراً يتعلق بأشكال معينة من تعاطي المخدرات. حيث تذهب هذه النظرية إلى أنه عندما لا توجد الوسائل الاجتماعية لتحقيق الأهداف الثقافية في المجتمع بصورة عادلة ومشروعة، تجد بعض الجماعات نفسها محرومة من تحقيق أهدافها المشروعة، حينئذ قد تتجه هذه الجماعات إلى تعاطي المخدر نتيجة لشعورها بالفشل والإحباط، وهنا يعد تعاطي المخدرات سلوكاً ووسيلة فعالة لدى بعض الأفراد للهروب من مواقف الضعف ومشاعر الإحباط والاغتراب[125].

ويفسر دونالدتافت Tafft الانحراف الاجتماعي بما فيه إدمان المخدرات بقوله إذا كانت ثقافة ما تتسم بالتعقيد المادي والديناميه وتمجيد الشخص الذي ينجح في الصراع والتنافس ولكنها تسد الطريق أمام الكثيرين لتحقيق هذا النجاح فإن فشل هؤلاء يؤدي إلى ظهور أنماط سلوكية ضارة بمصالح الفرد والمجتمع[126].

ويرى ميرتون أن النمط الانسحابي Retreatiaon يعني أن الفرد يعيش في المجتمع ولكنه لا يكون جزء منه، بمعنى أنه لا يشارك في الاتفاق الجماعي على القيم الاجتماعية، والانسحابي يتخلى عن كل من الأهداف والأساليب التي يحددها النسق. ومن أمثلة هذا النمط من التكيف الانحرافي إدمان الخمور والمخدرات ويرى ميرتون أن هذا النوع من الأفراد لا يقبل الأساليب غير المشروعة لتحقيق الأهداف وفي نفس الوقت لا تتاح له الفرصة لاستخدام الأساليب المشروعة لتحقيقها ولا يكون أمامه من مفر سوى أن ينسحب من المجتمع إلى عالمه الخاص (الإدمان) وهكذا يحل هذا الفرد الصراع النفسي عن طريق الهروب الكامل من المجتمع[127].

وقد اثبتت كل من كلوراد وأوهلن Cloward & ohlin نظرية ميرتون أن هناك ثقافة خاصة انسحابيه Retreatirt subculture تتميز بانعزال أفرادها عن المجتمع وعدم ممارسة أي سلوك إيجابي داخل المجتمع، وعادة ما يتسمون باللامبالاة وعدم الاهتمام بما يدور حولهم ويهربون إلى تعاطي المخدرات وإدمان المشروبات الكحولية[128].

ويربط ميرتون من التمرد على ثقافة المجتمع وتعاطي المخدرات: ويقصد بالتمرد Redellousness شعور الفرد بالبعد عن الواقع، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير وقد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات.

ويشير كينستون Kinston إلى أن حالات التمرد والعصيان والخروج عن الأعراف والقيم إنما يعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع بل والشعور بالغربة والاغتراب. وحدد كينستون صور رفض الهوية الثقافية في إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع ورفض النظام القيمي للمجتمع وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع. ويترتب على ذلك ظهور أشكال من تعاطي وإدمان المخدرات[129].

ويوضح ميرتون أن إقبال الشباب على المخدرات هو شكل من أشكال التمرد والمعارضة للمجتمع وتحدي السلطة القائمة، فتعاطي المخدرات هو رفض للقيم وأساليب الحياة في الثقافة السائدة[130].

ويرى مارفن سكوت Skott أن الاغتراب هو عدم الالتزام بالقيم وعدم التطابق أو الامتثال للمعايير وعدم وجود مسئولية في الأدوار والافتقار لتحديد المسئولية.

ويعرف نتلر Nettler الشخص المغترب بأنه من تم تغريبه عن مجتمعه والثقافة التي يعيشها ودفعه إلى اتخاذ موقف رافض منها ومقاومتها.

ويتحدث ميدلتون Middleton عن الغربة الثقافية بمعنى الانفصال عن تلك الثقافة فالشعور المتضمن هنا هو شعور باللامبالاة تجاه الثقافة وذلك كمقابل للشعور بأهمية مكوناتها المختلفة.

وقد أوضح اريكسون Arekson إلى أن هناك عدة شروط ذات صلة عميقة بالهوية وضرورية لقيامها. ومن هذه الشروط الشعور بوحدة الشخصية وتكاملها، والشعور بالوحدة والاستمرارية الزمنية والشعور بالمشاركة العاطفية والشعور بالثقة

والاستقلال.

كما يشير اريكسون إلى أن الهوية الثقافية هي عملية متعلمة من الواقع الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه الفرد في مجتمعه، وهي مظهر من مظاهر نمو الشخصية[131].

وذهب روبرت بلونر Robert Blauner إلى أن التكنولوجيا تلعب الدور الأساسي في إحداث الاغتراب لدى العمال، فالاغتراب يوجد عندما يكون العمال غير قادرين على الانتماء للمجتمع الصناعي وعندما يفشلون في التعبير الذاتي الشخصي، فالإنسان مغترب عندما يكون موضوعاً مسيطراً عليه ومحتكراً بواسطة أشخاص آخرين أو بواسطة التكنولوجيا.

وقد تبلور الاغتراب في مظهرين العزلة الاجتماعية نتيجة لانعدام الإحساس بالانتماء للمجتمع أو التوافق مع الدور الذي يؤديه العامل في عمله، والعزلة النفسية أو غربة الذات حيث يغترب العامل عن ذاته خلال نشاطه الإنتاجي خاصة حينما يعجز عن السيطرة على عمله ويفقد الروابط والعلاقات ذات المغزى[132].

وذهب هربرت ماركيوز Marcuse إلى أن التكنولوجيا الحديثة قد خلقت عالماً تسوده الحاجات المصطنعة والاستهلاك الجماهيري الذي أصبح هدفاً في حد ذاته.

وقد أوضح ناسى Nacy أن التكنولوجيا اختزلت الإنسان إلى كيان آلي خاضع لتحكم التكنولوجيا، وإن الإنسان داخل نمط الإنتاج الرأسمالي تحول إلى شيء أو سلعة نتيجة لتشيؤ الواقع وتجاهل الجوهر الذاتي للإنسان[133].

وقد اهتم ماكس فيبر 1864 – 1920 بالعلاقة بين البيروقراطية والاغتراب، ذلك أن الاتجاه الاجتماعي نحو خلق تنظيم إداري واسع المدى، تندرج فيه السلطة بشكل هرمي ويدار مركزياً في تنظيم لا شخصي مجرد، ومع تزايد النزعة نحو العقلانية والصورية في التنظيم الاجتماعي تضمحل العلاقات الشخصية وتتضخم التنظيمات الإدارية وقد أوضح فيبر أن هيمنة التنظيم البيروقراطي على العالم المعاصر قد أدى إلى أنه لا يهتم بالأشخاص ولا يتعامل النظام البيروقراطي مع أشخاص بل ذرات مجردة تخضع للحسابات العقلانية وكل إنسان يصبح ترساً في آله[134].

ويعتقد الباحث اوليفير 1995 بأن الأفراد يشعرون بالنقص وبالدراسة وبأنهم فارغون وطبول جوفاء، فلابد أن يملؤوا حياتهم، ومن خلال الإدمان يعوض الأفراد عما يفتقدوه في حياتهم وستملى المخدرات هذا الفراغ.

وقد أشار تونيز إلى أن المجتمع تسود فيه علاقات مصطنعة وغير أخلاقية فكل فرد يعيش في المجتمع لذاته وليس للآخرين، والعلاقات تقوم على المصلحة وكل شيء يصبح سلعة قابلة للتبادل، بل أن التبادل لا يقتصر على السلع المادية فكل القيم اختزلت إلى شيء قابل للبيع والشراء، وطالما أن كل شخص يبحث عن مصلحته فإن علاقة الكل بالكل تصبح حرب مستترة وهذا اغتراب الإنسان عن الإنسان. فكل إنسان ينظر إلى الآخر كشيء أو أداه يستخدمها لتحقيق أغراضه الذاتية.

وقد أوضح ماركس افتقاد الطابع الإنساني في ظل المجتمع الرأسمالي، ذلك من خلال عملية التحول من قيم الاستعمال إلى قيم التبادل، فالمعايير الرأسمالية تجسد كل

مظاهر الاغتراب والتشيؤ. فالإنسان في المجتمع الرأسمالي يخضع لقواعد مهيمنة تمنح الربح المادي الأولوية على أي شيء[105].

ويرى اريك فروم أن النظام الرأسمالي أبرز قيمه حب التملك، فالملكية التي يملكها لا يمكن أن تنفصل عن نفسه وكلما يقل شعوره بأنه شخص ازدادت حاجته على أن يتملك. وقد أضح فروم إن الإنسان المعاصر أصبح موضوعاً لقوى اقتصادية عمياء تحكم حياته وتستخدم أجهزة الدعاية لتؤدي إلى (المستهلك المخدوع) وفي هذا النظام تم تأليه السلع أو عبادتها أو ما يسمى فتشيه Fetshism السلع، وتحولت العلاقات الفعلية بين الناس إلى علاقات بين أشياء وبهذا تم سلب كامل لإنسانية الإنسان[135].

ويعد الاغتراب بما يتضمنه من شعور بالعجز والعزلة الاجتماعية واللامعنى واللامعيارية أحد العوامل الأساسية المسئولة عن الإقدام على تعاطي المخدرات.

وقد كشفت عديد من الدراسات عن ارتباط الشعور بالاغتراب (ممثلاً في كل من العجز، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، وغربة الذات) بتعاطي المخدرات ومن هذه الدراسات Seeman & Anderson, 1983; James & Ames, 1989.

وتشير نتائج الدراسات إلى أن الشعور بالاغتراب يعد من أكثر المنبئات بمشكلات تعاطي المخدرات، وأن الاغتراب داخل بيئة العمل من العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى التعاطي، حيث تبين تزايد نسب المتعاطين للمخدرات بين الأشخاص الأكثر شعوراً بالعجز والاغتراب.

وقد توصل توماس Thomas, 1997 إلى أن متغيرات الشخصية مثل الاغتراب والقلق والغضب والدافعية تقوم بدور مهم كعوامل مهيئه لتعاطي المخدرات. وكشف جاكسون وزملاؤه Jack sonnetal, 1998 عن ارتباط الاغتراب بتعاطي المخدرات. وأسفرت نتائج دراسة سوليفان وبيرمس Sullivan & Brems 1997. عن وجود علاقة بين اغتراب الذات وتزايد تعاطي المخدرات.

وقد حاول جوزيكوف وزميله Guizikov & Zobmer, 1997 تفسير العلاقة بين الأغتراب وتعاطي المخدرات، في ضوء عدم الانسجام Disharmony أو التناقض في شخصية المتعاطين للمخدرات. حيث يعد هذا التناقض بمثابة مقدمة للإدمان.

وقد أظهرت بعض الدراسات أن إدمان المخدرات مسئول عن ضعف الأنا واغتراب الفرد، وتعاطي المخدرات لفترات طويلة تظهر أثاره على الأنا وسمات الشخصية المغتربة، مثل العجز، والعزلة الاجتماعية، وفقدان الهدف، وفقدان المعايير.[136].

وفي ضوء هذا المناخ المحبط نجد الشباب يقبل على تعاطي المخدرات كوسيلة فعالة للهروب من مواقف الضعف ومشاعر الإحباط والاغتراب. وبذلك يكون الاغتراب بما يتضمنه من شعور بالعجز والعزلة الاجتماعية واللا معنى واللامعيارية والضياع أحد العوامل الأساسية المسئولة عن تعاطي وإدمان المخدرات.

المراجع

1 - سعد المغربي، سيكولوجية تعاطي الأفيون ومشتقاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 9، 12.
2 - مصطفى سويف، المخدرات والمجتمع، نظرة تكاملية، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص13، 63.
3 - آمال عبد الحميد، المرأة بين ثقافة المخدرات وثقافة السجن، المرأة وجرائم المخدرات في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 2009، ص 168.
4 - أمال عبد الحميد، المرجع نفسه، 169.
5 - عادل الدمرداش، الإدمان مظاهره وعلاجه، عالم المعرفة، الكويت، 1982، ص65.
مزيد من التفاصيل أنظر: مولي تشارلز وهابرسيل بريتو، البيئة الثقافية لتعاطي المخدرات والملابسات الخاصة بالسياسة المرتبطة بها، ترجمة منى عبد الناصر، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1998.
6 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص63.
7 - مصطفى سويف، المرجع نفسه، ص84.
8 - مصطفى سويف، المرجع نفسه، ص83.
9 - صابر عبد الباقي، الأبعاد الثقافية لظاهرة إدمان المخدرات
Kenana on line.com/users/des-saber/ parts88499
10 - أحمد حجازي، المخدرات والأزمة الراهنة للشباب المصري، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2005، ص22.
11 - أحمد مجدي حجازي المرجع نفسه، ص21.
12 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص63، 64.
13 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص9.
14 - فهد عبد العزيز الكليب، الوهم القاتل، جامعة الملك سعود، بدون تاريخ، ص4.
15 - سعد المغربي، مرجع سابق، ص9.
16- Toxicomanie – dz.com/data/toxic comanie_rake,html.
17 - روبرتسون، الهيروين والايدز وأثرهما في المجتمع، ترجمة ميخائيل أسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص16، 17.
18 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص25، 3.
19 - سعد المغربي، مرجع سابق، ص 24، 25.
20 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص26، 27.
21 - فهد عبد العزيز الكليب، مرجع سابق، ص 20، 21.
22 - سلسلة مكتب أبحاث الجريمة، المخدرات والعقاقير المخدرة، شركة الطباعة العربية، الرياض، 1985، ص15.
23 - عزة عبد الغني حجازي، الإدمان، الدار الفنية، 1991، ص37، 38.
24 - عبد الرحمن مصيفر، ظاهرة تعاطي الخمور والمخدرات في البحرين، المطبعة الحكومية لوزارة الإعلام لدولة البحرين، 1981، ص5.
25 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص33، 34.
26 - عزة عبد الغني حجازي، مرجع سابق، ص44.
27 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص65.
28 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص65.

29 - عزة عبد الغني حجازي، مرجع سابق، ص44.
30 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص56، 57.
31 - مشروبات كحولية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
مشروبات كحولية/AR.wikipedia.org/wik
32 - عبد الرحمن مصيفر، الشباب والمخدرات، دار الخليج العربية، شركة الربيعان، السعودية، 1985، ص5.
33 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص218.
34 - خالد منتصر، المخدرات والجنس
Htt://elaph.com/health/2004/7/1106.htm
35 - خالد منتصر، المخدرات والجنس، مرجع سابق.
36 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص218.
37 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص41.
38 - محمد صلاح الزهار، حكاية البانجو، كتاب اليوم، مارس، 1998، ص19.
39 - وليم ادواردلين، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، نقله إلى العربية طاهر نور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013، ص288.
40 - سعد المغربي، تعاطي الحشيش دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص318.
41 - حسن الساعاتي، تعاطي الحشيش كمشكلة اجتماعية، الحلقة الثانية لمكافحة المخدرات، المركز القومي للبحوث الجنائية، 1963، ص17.
42 - آمال عبد الحميد، مرجع سابق، ص17.
43 - المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص68.
44 - ناصر بوكلي، الإدمان، دار المأمون للتراث، ط1، 1988، ص60.
45 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص161.
46 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص36.
47 - وليم ادواردلين، مرجع سابق، ص292.
48 - سعد المغربي، سيكولوجية تعاطي الأفيون، مرجع سابق، ص15، 16.
49 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص38.
50 - المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص68، 73.
51 - روى روبرتسون، الهيروين والايدز، مرجع سابق، ص44.
52 - روى روبرتسون، المرجع نفسه،ص43.
53 - روى روبرتسون، المرجع نفسه، ص44.
54 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص144، 145.
55 - المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص85.
56 - جواد فطاير، الإدمان وأنواعه، مراحله، علاجه، دار الشروق، 2001، ص14، 120.
57 - وليم إدواردلين، مرجع سابق، ص292.
58 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص44.
59 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص240.
60 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص48.
61 - مصطفى سويف، المرجع نفسه، ص63، 64.
62 - عادل الدمرداش، المرجع سابق، ص227.

63 - عادل الدمرداش، المرجع نفسه، ص228.
64 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص59.
65 - مصطفى سويف، المرجع نفسه، ص60.
66 - وليم إدواردلين، مرجع سابق، ص290.
67 - مصطفى سويف، مرجع سابق، ص59.
68 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص197.
69 - عادل الدمرداش، المرجع نفسه، ص199.
70- www.bestive-addiction-auids-org/ 20study.htm
71- www.bestive-addection مرجع سابق
72- www.bestive-addiction مرجع سابق
73 - عزة عزت، التحولات في الشخصية المصرية، كتاب الهلال، العدد 598، أكتوبر، 2000، ص450، 451.
74 - عزة عزت، المرجع نفسه، ص451.
75 - عبد الهادي مصباح، الإدمان، الدار المصرية اللبنانية، 2004، ص242.
76 - عبد الهادي مصباح، المرجع نفسه، ص243.
77 - عبد الهادي مصباح، المرجع نفسه، ص243.
78 - عبد الرحمن مصيفر، الشباب والمخدرات، مرجع سابق، ص62.
79 - رشاد أحمد عبد اللطيف، الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1992، ص92.
80 - رشاد أحمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص93.
81- http://ar.wikipedia.org/wiki/8/Bg
82 - أحمد مظهر عقبات، دور وسائل الإعلام في الوقاية من انتشار المخدرات. www.nauss.ed.sa/daclibi/Ahmedpf
83 - ياسر السيد، دور وسائل الإعلام في الحد من ظاهرة المخدرات، في محمود عودة وآخرون، ظاهرة المخدرات في الريف المصري. دراسة ميدانية – في عدد من القرى، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 511، ص109، 110.
84 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص99.
85- Civiegypt.org/2p=45524
86- www.Lifeeig.org/wrabicqa/c.ethics/chrestantyandwin
87- Mechrstion.org/2013/28/wine
88- Civiegypt.org مرجع سابق
89- St-takia.org/fao-questions/01-question-Related 10 – theholybible al- ketab- al-makaddas-liquaiver alchalic-drink-Forbiddes-htm
90- www.Lifeeig.org مرجع سابق
91- st-tab-og/Faq-question مرجع سابق
92- www.lifeeig.org مرجع سابق
93 - سهير لطفي، الإدمان، أوهام، أخطار، حقائق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص58.

94- http://www.ahewar.org/debat/show.ast.asp2aid=95221
95- www.lifeeig مرجع سابق
96- Me chirstion-org/22.13/o/28
97- St-takia.org/fao-questions/01 vs -question-Related to – theholybible al- ketab- al-makaddas-liquaiver alchalic-drink-Forbidden-htm
98 - سهير لطفي، مرجع سابق، ص56.
99 - عادل الدمرداش، مرجع سابق، ص100.
100 - المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص256.
101 - محمد عبد العزيز، الوهم القاتل، جامعة الملك سعود، بدون تاريخ، ص5، 6.
102 - المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص229.
103 - محمد بن العزيز، الوهم القاتل، مرجع سابق، ص5، 6.
104 - المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص255.
105 - محمد عبد العزيز، الوهم القاتل، مرجع سابق، ص5، 6.
106 - سعد المغربي، ظاهرة تعاطي المخدرات، تعريفها، أبعادها، الندوة العربية حول ظاهرة تعاطي المخدرات، المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي، القاهرة، 1971، ص4.
107 - سويف، مرجع سابق، ص73.
108 - حسن الساعاتي، تعاطي الحشيش كمشكلة اجتماعية، الحلقة الثانية لمكافحة المخدرات، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 1963.
109 - عفاف عبد المنعم، الإدمان، دارسة نفسية، أسبابه ونتائجه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، 353، 354.
110 - عفاف عبد المنعم، المرجع نفسه، ص357.
111 - عفاف عبد المنعم، المرجع نفسه، ص357.
112 - عبد الرحمن مصيفر، الشباب والمخدرات، مرجع سابق، ص110، 111.
113 - أحمد عكاشة، علاج الإدمان حقيقة أم وهم، المجلس القومي لمكافحة وعلاج الإدمان.
114 - مي الحسيني، أسرار العلاقة المميزة بين الجنس والمخدرات، htt//ma3/coma-net%8%A3
115 - هبة قطب، المخدرات وتأثيرها على العلاقة الجنسية الحميمة بين الزوجين. htt//www.almaharegypt.com/1=128594
116 - خالد منتصر، المخدرات والجنس htt://elaph.com/health/2004/7/1/1106.htm
117 - خالد منتصر، المرجع نفسه.
118 - خالد منتصر، المرجع نفسه.
119 - سعد المغربي، مرجع سابق، ص357.
120 - سعد المغربي، المرجع نفسه، ص357
121- htt://www.almalaregypt/com/1-198594
122- htt://remedyforallmallmalady. bolog patcom/20/2 blog fort-8270httml
123- htt://remedyForallmallmalady-blog2pot. com/20/3/12/blog-fort-8270html
124- http://Tramadol.blogspot.com http://hoppeg.com/tramadol. Abuse.sumplms hopeeg.com/

Tramadol Abuse
http//ar. wikepdia.org
see: http://tramadolandsex,blogspot.com

125 - عدلي السمري، المتغيرات الاجتماعية لتعاطي المخدرات، دارسة المشكلات الاجتماعية، إشراف محمد الجوهري، بدون تاريخ، ص397.
126 - فرانك وليامز، السلوك الإجرامي، ترجمة وتحقيق عدلي السمري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996، ص192، 193.
127 - سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الاجتماع، غير وارد مكان وتاريخ النشر، ص45.
128 - فرانك وليامز، السلوك الإجرامي، مرجع سابق، ص193.
129 - شاخت، الاغتراب، ترجمة محمود رجب، دار النهضة العربية 1981، ص177.
130 - سمير نعيم، مرجع سابق، ص44.
131 - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، 2003، ص64.
132 - السيد على شتا، التنظيم الاجتماعي وظاهرة الاغتراب، دار الإصلاح السعودية، الدمام، 1984، ص26.
133 - السيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار المعارف، 1985، ص19.
134 - نبيل رمزي اسكندر، الاغتراب وأزمة الإنسان العاصر، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص332.
135 - اريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط، 1972، ص30.
136 - عبد اللطيف محمد خليفة، المرجع السابق، ص160.

See: Blum, R. H & Associates: Drug: society: social and culture observation, san Francisco, Jossery press Inc, 1969.
See: MCG lowthlin, drug use and abuse, Ann, Rev. Psychol,1975.
See: Arif, A & westermeyer, J. Manual of drug and Alcohal Abuse, New York, Plenum, 1988.